الباب الثاني

(آفات النفاق، وخِصال المنافقين)

من خلال القرآن والسنة

من خلال استقراء آيات الله البينات، وأحاديث النبي المباركات، يمكننا التعرف على آفات النِّفاقِ، وخِصال المنافقين، وبيانها كما يلي:

الخصلة الأولى

(الكذب في الحديث، وكثرة الحلف)

وقد أكَّد القرآن الكريم هذه الصفة في عِدَّةِ مواضِعَ، منها:

- قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ ﴾ (الفتح).

- وقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (التوبة).

- وقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (النساء).

كان المنافقون يُعرِضون عن حكم الله ورسوله، ويتحاكمون إلى غيره، حتى إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم من الإثم والعدوان، واحتاجوا إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك، كانوا يأتون إليه مُقْسِمينَ أنهم ما أرادوا بهذا التحاكم إلى أعدائه إلا إحسانًا وتوفيقًا، بأن يداروهم، ويصادقوهم، وهذا كذب واضح، ونفاق بيِّنٌ.

• وقال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (التوبة).

وهذا من أقبح الكذب، لأنه كذب في الإيمان والعقيدة، وقد بيَّن الله تعالى لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللمؤمنين أن المنافقين هم قوم اتَّصفوا بالكذب، حتى لا يغتروا بالأيمان الكاذبة التي يُقسِمونها، وليُمَوِّهوا على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

وسببُ هذا الادعاء الكاذب ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾. فهم يُظهِرون إيمانهم فرقًا ورعبًا وخوفًا منكم أن تفعلوا بهم كما تفعلون بالكافرين.

وقال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ

أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ (التوبة).

وقال تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ (التوبة).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ (المجادلة).

ومن هذه الآيات تعلم أن المنافقين إنما كانوا يوادُّون اليهود وهم أعداء المسلمين، وينقلون إليهم أخبار المسلمين، وأنهم كانوا يرتكبون أعمالًا تُغضِب الله ﷻ ورسوله ﷺ، وإذا سُئلوا في ذلك أقسموا الأيمان المغلظة أنهم ما فعلوه، وأنهم يتَّخذون الأيمان الكاذبة (تقيَّة) خوفًا على دمائهم وأنفسهم من

المؤمنين، وأنهم في الآخرة سيُقسمون كذلك أمام الله ﷻ كذبًا وتقية، كما كانوا يُقسمون للمؤمنين في الدنيا بلاهة منهم، وظنًا أن هذا سوف ينجيهم من عذاب الله ﷻ.

وقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ٣﴾ (المنافقون).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ٦٠﴾ (الزمر).

- **يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله:**

قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨﴾(النساء).

أظهروا أمرًا وبيَّتوا أمرًا آخر، فهم على النقيض تمامًا من أهل التقوى الذين أيقنوا أن الله رقيب عليهم، يعلم سرهم ونجواهم، ويراهم ويرى أعمالهم، فيستحيون من الله تعالى حياءً يمنعهم عن معاصيه، ويخافون ربهم من فوقهم خوفًا يمنعهم من ظلم الناس.

فمراقبة الله تعالى في السر والعلانية صفة أهل التقوى، والحياء من الناس والجرأة على الله تعالى صفة أهل النِّفاق.

• وقال تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (الواقعة).

وتتمثَّل هذه الآية الأخيرة في واقع الناس اليوم: حيث الإعلام المضلِّل، والصحافة الكاذبة غير الأمينة، والتي تشجِّع على الفوضى والغوغائية، بعدم تحرِّيها الحقيقة، وبافتراء الكذب، وكونِ هذا الكذبِ مصدرَ رزقِهم، والله يشهد إنهم لكاذبون.

ولخطورة الكذب، وبيان أنه صفة ملازمة للمنافقين، وخَصلة من خِصال النِّفاق، وآفة من آفاته الخطيرة، فقد:

• حذَّرَنا منه رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{ آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ }**(١).

ـ وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ،**

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الإيمان، ب: علامة المنافق، ح (٣٣)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: بيان خصال المنافقين، ح (٥٩).

وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ }(١).

• وبيّن لنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنها صفة لا يجتمع معها الإيمان.

ـ عَنْ مَالِكٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟ فَقَالَ: {نَعَمْ}، فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟ فَقَالَ: {نَعَمْ}، فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا؟ فقَالَ: { لَا }(٢).

ـ وعَنْ عَبْدِ الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا}(٣).

• ومما ورد عن الصحابة والتابعين في بيان اتّصاف المنافقين بذلك:

---

(١) سبق تخريجه، ص (٢٩).

(٢) أخرجه مالك في موطئه، ح (١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان، ح (٤٤٧٢).

(٣) أخرجه البخاري: ك: التفسير، ب: قول الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾، ح (٦٠٩٤)، ومسلم: ك: البر والصلة والآداب، ب: قبح الكذب وحسن الصدق، ح (٢٦٠٧).

ـ قَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: [اعْتَبِرُوا الْمُنَافِقَ بِثَلَاثٍ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ]، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللهِ: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (التوبة) (١).

- وَقَوْلُ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: [الْمُنَافِقُ الَّذِي إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا حَلَفَ فَجَرَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا غَنِمَ غَلَّ، وَإِذَا أُمِرَ عَصَى، وَإِذَا أَلْقَى جَبُنَ، فَمَنْ كَانَ فِيهِ فَفِيهِ النِّفَاقُ كُلُّهُ، وَمَنْ كَانَ فِيهِ بَعْضُهُنَّ، فَفِيهِ بَعْضُ النِّفَاقِ](٢).

وَعَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ قَالَ: [مَنْ كَذَبَ فَهُوَ مُنَافِقٌ]، ثُمَّ قَالَ: [مَا أَدْرِي أَيُّهُمَا أَبْعَدُ غَوْرًا -يَعْنِي فِي النَّارِ- الْكَذِبُ أَوِ الشُّحُّ](٣).

❁ ❁ ❁

ويلحق بهذه الصفة أنهم:

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٠٦٧) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٦١١).

(٢) أخرجه أبو عبد الله ابن بطة في الإبانة، رقم (٩٢٦)، وذكره الفريابي في صفة النِّفاق، رقم (٢٠)، ص (٦٥).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي رقم (٤٥٤٩)، وفي صفة النفاق، رقم (٢٢)، ص (٦٦).

يقولون مالا يفعلون (عليم اللسان)

المنافق هو عالم اللسان، جاهل القلب والعمل، أعطى الناس لسانه، ومنعَ اللهَ قلبه وعمله. يقول مالا يفعل، سريرته ليست مثل علانيته، وإنما يُهلك هذه الأمةَ كلُّ منافقٍ عليمِ اللسان.

• قال الله تعالى ناهيًا أهل الإيمان عن الاتِّصاف بهذه الآفة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ (الصف)، وقال تعالى: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٤٤ ﴾ (البقرة).

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ}(١).

وقال عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [إِنَّ أَخوفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُم ثلاَثَةٌ: مُنَافِقٌ يقْرَأُ القُرْآنَ لاَ يُخطِئُ فِيْهِ وَاواً وَلاَ أَلِفاً، يُجَادِلُ النَّاسَ أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْهُم لِيُضِلَّهُم عَنِ الهُدَى، وَزَلَّةُ عَالِمٍ، وَأَئِمَّةٌ مُضِلُّونَ](٢).

وَقَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [إِنَّ مِنْ أَقْرَأِ النَّاسِ المُنَافِقَ، الَّذِي لَا

(١) أخرجه أحمد، ح (١٤٣)، وابن حبان في صحيحه، ح (٨٠).
(٢) أخرجه الذهبي في السير (١١/ ٤٦٤، ٤٦٣).

يَتْرُكُ وَاوًا وَلَا أَلِفًا يَلْفِتُهُ، كَمَا تَلْفِتُ الْبَقَرَةُ الْخَلَا بِلِسَانِهَا](١).

وقال الله تعالى: ﴿وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ (المنافقون: ٤).

فالمنافق يقول قولًا ويعمل عملًا مخالفًا، أو يقول مدحًا أو ذمًّا، وهو يعلم أن ما وراء هذا المدح أو الذم إلا الحصول على منفعة مادية، أو معنوية. فهو الذي يصف الإسلام ولا يعمل به.

قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا: [إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ، وَالْمُنَافِقُ، وَالرَّجُلُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالصَّغِيرُ، وَالْكَبِيرُ، وَالْعَبْدُ، وَالْحُرُّ، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ، فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ، وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ...](٢).

فهو يجادل الناس بأنه أعلم منهم؛ ليضلهم عن الهدى، لذلك كان أكثر منافقي الأمة قراؤها. يقول بما يعرف، ويعمل بما يُنكر.

❁ ❁ ❁

---

(١) صفة النفاق وذم المنافقين، ح (٤١)، ص (٨٥).

(٢) أخرجه أبو داود: ك: السنة، ب: لزوم السنَّة، رقم (٤٦١١)، والحاكم، رقم (٨٤٢٢)، وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصحَّحه الألباني موقوفًا.

الخصلة الثانية

(الخلفُ في الوعود، والغدر في العهود)

وهي صفة من صفات اليهود، يُعرَفون بها، فالقوم لا عهد لهم ولا ذمَّة.

وقد بيَّن القرآن الكريم ذلك في:

• قولِهِ تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ ﴾ (النساء).

كان المنافقون يعطون العهد والميثاق للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على طاعته وتنفيذ أوامره، فإذا خرجوا من عنده اتفقوا ليلًا فيما بينهم على غير الذي أعلنوه عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ (التوبة).

• وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ (الأحزاب).

• وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (النور).

وقد ورد في السنَّة ما يؤكِّد ذلك:

ففي حديث أبي هريرة: { **وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ** }، وفي حديث عبد الله بن عمرو: { **وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ** }. وقد سبق ذكر ذلك.

فخلف الوعد خَصلة ملازمة للمنافقين، والغدر بالعهد آفة من آفات النِّفاق، وشعبةٌ من شُعَبِهِ.

ومنه قول الله ﷻ: ﴿ **وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ** ﴾ (الرعد:٢٥). ويدخل في ذلك: كلُّ حاكم أو وزير أو مسئول أو مدير، أو والد، أو والدة يَعِدُ بشيء، ولا يلتزم به بغير عذر.

۞ ۞ ۞

الخصلة الثالثة

(الخيانة)

وللخيانة صور عديدة:

منها: السَّرِقَة. وفي المصباح المنير: « وربما قيل كلُّ سارقٍ خائنٌ دون عكس»، وقيل في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ (النساء): إنها نزلت في سارق الدِّرْعَين وقومِه.

وقيل الخيانة: أن يؤتمن المرء على شيء، فلا يقيم لحرمة الأمانة وزنًا. كما في روايتي أبي هريرة وعبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: { إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ }...

وفي التحذير من خيانة الأمانة: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ}(١).

---

(١) أخرجه أحمد ح (١٥٤٢٤)، وأبو داود: ك: الإجارة، ب: فِي الرَّجُلِ يَأْخُذُ حَقَّهُ مَنْ تَحْتَ يَدِهِ، ح (٣٥٣٥)، والترمذي: ك: البيوع، ب:٣٨، ح (١٢٦٤)، وقال: حسن غريب، وقال الألباني: حسن صحيح.

وممن يدخل في المطالبة بذلك: كلُّ مَن تحمل أمانة الحكم، أو أمانة المسؤولية، أو أمانة الكلمة، أو أمانة العلم، أو أمانة العمل، فلم يؤدِّها بإتقان، أو غَشَّ فيها، فمن غشَّ أمة الإسلام، فهو داخل في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي }(١).

• **ومن صور الخيانة في القرآن الكريم:**

١- التجسُّس لحساب الأعداء:

• قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ... ﴿٤١﴾﴾ (المائدة).

وقد ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات، أنها نزلت في منافقي أهل الكتاب: ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ أي سمَّاعون لأجل قوم آخرين. وجَّهوا عيونًا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى المسلمين يحضرون مجالسهم، وينقلون أخبارهم إلى قوم وصفهم الله بقوله ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من غشنا فليس منا، ح (١٠٢).

ومن هذه الآية يَتبيَّن أن فريقًا من المنافقين من أهل الكتاب كانوا يزعمون الإسلام لغاية التجسُّس لأعداء الله ﷻ، ونقل أخبار المسلمين إليهم.

• قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) ﴾ (البقرة).

• وقال تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) ﴾ (آل عمران).

فالتجسُّس في صدر الأعمال التي يهتمُّ بها المنافقون للكيد للإسلام والمسلمين، والتعاون مع أعداء الله ﷻ على ذلك، ولذا نهى الله تعالى عنها المؤمنين بقوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾.

٢- إفشاء الأسرار للأعداء:

وهذا لون آخر للتجسُّس، فقد يكون التجسُّس مهنة وغاية، ولكن هناك من يُفشِي السرَّ تحت تأثير شيء معين، وضعف لا يلبث أن يزول إذا خالط قلبه نور الإيمان.

ومن ذلك قصة أبي لُبابةَ الأنصاريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندما حاصَر

الرسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهودَ (بني قريظة) بعد أن ظاهروا المشركين عليه في غَزْوَةِ الأحزابِ، فذهَبَ إلَيْهِم، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ إِلَيْهِ الرِّجَالُ وَهَشَّ إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ يَبْكُونَ فِي وَجْهِهِ، فَرَقَّ لَهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَبَا لُبَابَةَ أَتَرَى أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حُكْمِ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: مَاذَا يَفْعَلُ بِنَا إِذَا نَزَلْنَا؟ فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ أَنَّهُ الذَّبْحُ، قَالَ أَبُو لُبَابَةَ: [فَوَاللهِ مَا زَالَتْ قَدَمَايَ حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي قَدْ خُنْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ]، ثُمَّ انْطَلَقَ أَبُو لُبَابَةَ عَلَى وَجْهِهِ، ولم يأت رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى ارْتَبَطَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى عَمُودٍ مِنْ عَمَدِهِ، وَقَالَ: [لَا أَبْرَحُ مَكَانِي حَتَّى يَتُوبَ اللهُ عَلَيَّ مِمَّا صَنَعْتُ](١).

وأنزل الله تعالى قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) ﴾ (الأنفال).

وقيل: إن هذه الآية: ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٠٢) ﴾ (التوبة). نزلت في توبة الله تعالى عليه.

ولا شكَّ أن أقصى ما يتمناه العدو من الفرد المسلم هو خيانته لجماعته بإفشاء أسرارها.. أو التآمر ضدَّها.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ١٣٨).

٣- مصانعة العدو، ومصادقته:

كما حدث في قصة الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقد كان له إخوة وبنون بمكة، ليس لهم عصب يحميهم، فخاف عليهم إذا غزا النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة عندما أراد فتحها، فأحب أن يكون له عند قريش يدٌ، وأراد أن يتقرَّب إليهم رغبة في عدم إيذاء أهله بمكة منهم، فكتب إليهم كتابًا وأرسله إليهم. رُوي أنه ورد فيه: « أما بعد: يا معشر قريش، فإن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل، فو الله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له، فانظروا لأنفسكم والسلام».

والذي ينظر إلى هذه الصيغة لا يفهم منها أنه قصد أذى المسلمين، وإنما هو إفشاء السرِّ لمصلحة رآها هو لأهله بمكة.

وقد أرسل النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًّا والزبير والمقداد في تتبُّع المرأة التي معها كتاب حاطب إلى قريش، حتى وجدوها عند (روضة خاخ)، فأخذوا منها الكتاب، فأتوا به إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **{يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟}**، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ

بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{لَقَدْ صَدَقَكُمْ}**، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ: **{ إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ }**(١).

وفي هذا الحديث دليل على أن ما عمله حاطب من النِّفاق، فقد أقر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولَ عمرَ: [دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ]، وفي رواية: «فقال عمر: [إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني أضرب عنقه]» فلما ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه من أهل بدر دمعت عيناه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: [الله ورسوله أعلم].

ومن هذا نعلم أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يستنكر وصف عمر لهذا العمل بأنه نفاق، ولا حتى العقوبة التي أراد عمر أن يوقعها عليه وهي القتل، وإنما الذي شفع له عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان من أهل بدر، وأبلى بلاءً حسنًا في هذه

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الجهاد والسير، ب: الجاسوس، ح (٣٠٠٧)، ومسلم: ك: فضائل الصحابة، ب: فضائل أهل بدر، وقصة حاطب، ح (٢٤٩٤).

الغزوة المباركة.

٤- التآمر مع الأعداء، ولو في صورة طاعة من الطاعات:

(أ) قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ (التوبة).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: «هُمْ أُنَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ابْتَنَوْا مَسْجِدًا، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو عَامِرٍ: ابْنُوا مَسْجِدَكُمْ وَاسْتَمِدُّوا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ سِلَاحٍ، فَإِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ فَآتِيَ بِجُنْدٍ مِنَ الرُّومِ، فَأُخْرِجَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ مَسْجِدِهِمْ أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: إِنَّا قَدْ فَرَغْنَا مِنْ بِنَاءِ مَسْجِدِنَا، فَنُحِبُّ أَنْ تُصَلِّيَ فِيهِ، وَتَدْعُوَ بِالْبَرَكَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الآيَاتِ»(١)، وبَنَوا المسجد ليكون أبو عامر الراهب (الفاسق) إمامَهم.

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٦٣).

وكان الذين بنَوا هذا المسجد وأمُّوه اثني عشر منافقًا، ذكرهم ابن هشام في سيرته. أقاموا مسجدهم وشيَّدوه، وأخفَوْا مقاصدهم الدنيئة في صدورهم، كما أخفَوْا نفاقهم، وأرادوا أن يزيدوا طمأنة المسلمين، ويبالغوا في التمويه عليهم.

وحدثت الفتنة بين الناس، وانقسموا على أنفسهم بسبب هذا المسجد، فأمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مالكَ بنَ الدُّخْشُم ومَعْنَ بنَ عدي بهدمه وحرقه، فَحَرَّقَاهُ وَهَدَّمَاهُ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل.

(ب) قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾** ﴾ (الأحزاب).

نزلت هذه الآيات في هؤلاءِ الذين جَبُنوا من المنافقين عند لقاء الأحزاب، وذهبوا إلى المدينة مُحتجِّين بأن بيوتهم عورة، فيرد الله على هؤلاءِ بأنهم ضعاف الإيمان، لا عقيدةَ لهم، لأن الله يعلم أن العدو لو قُدِّرَ له أن يدخل المدينة من جوانبها وأقطارها، ثم سألهم المشركون الرِّدَّة وحمَلَ السلاح في وجوه المسلمين ما تردَّدُوا لحظة. وهذه هي الخيانة العظمى في أقصى صورها، وقد فضح الله تعالى نواياهم في قرآن يتُلَى إلى يوم الدين.

(ج) قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ (الحشر).

نزلت هذه الآيات في يهود بني النضير، الذين أرادوا قتل النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ديارهم، وفي المنافقين الذين همُّوا بالخيانة العظمى، وحاولوا إشهار السيف مع أعداء الله في وجوه المسلمين، ولكن الله عَزَّ وَجَلَّ خذلهم وثبَّطهم، وألقَى في قلوبهم الرعب.

وَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّهَيُّؤِ لِحَرْبِهِمْ وَالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ، فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فَحَاصَرَهُمْ سِتَّ لَيَالٍ، وَنَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ حِينَئِذٍ، وتحصنوا فِي الْحُصُونِ، فَأَمَرَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ النَّخِيلِ وَالتَّحْرِيقِ فِيهَا، فَنَادَوْهُ: أَنْ يَا مُحَمَّدُ قَدْ كُنْتَ تَنْهَى عَنِ الْفساد، وتعيبُ مَنْ صَنَعَهُ، فَمَا بَالُ قَطْعِ النَّخِيلِ وَتَحْرِيقِهَا؟!.

وَقَدْ كَانَ رَهْطٌ مِنْ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ مِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ وَوَدِيعَةُ وَمَالِكٌ وَسُوِيدٌ وَدَاعِسٌ قَدْ بَعَثُوا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ: أَنِ

اثْبُتُوا وَتَمَنَّعُوا، فَإِنَّا لَنْ نُسْلِمَكُمْ، إِنْ قُوتِلْتُمْ قَاتَلْنَا مَعَكُمْ، وَإِنْ أُخْرِجْتُمْ خَرَجْنَا مَعَكُمْ.

فَتَرَبَّصُوا ذَلِكَ مِنْ نَصْرِهِمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا، وَقَذَفَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللهِ أَنْ يُجْلِيَهُمْ وَيَكُفَّ عَنْ دِمَائِهِمْ عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ مِنْ أَمْوَالِهِم إِلَّا الْحَلْقَة. ففعل ذلك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالخيانة العُظْمَى شُعْبَة من شُعَب النِّفاق تكفي وحدها لإثبات صفة النِّفاق، وإلصاقها بشخص سوَّلَتْ له نفسه أن يرتكب إحدى الجرائم الثلاثة التي بينَّاها في آفة الخيانة (العمل كجاسوس لحساب العدو، أو أوقعه شيطانه في جريمة إفشاء سرِّ الجماعة المؤمنة، أو تخبط عقله في دياجير الخيبة، وعرض مشاركته مع الأعداء للتآمر ضد سلامة الإسلام والمسلمين).

٥ـ الغل من الغنيمة في الغزو:

وهو صورة من صور الخيانة، والغلول يكون في الغنيمة قبل تقسيمها، وهي من الكبائر، ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (آل عمران:١٦١).

۞ ۞ ۞

الخصلة الرابعة

(الفجور في الخصومة)

وهي صفة مَن لا خلاق له، ولا ولاء له، ينسون المعروف والإحسان، ويتذكرون الإساءة، ويتنكَّرون للجميل، ويَفجُرون في خصامهم وكيدهم للإسلام والمسلمين، بينما أهل الإيمان والتُّقى والإحسان لا يعرفون الفجور والخصام، فهم ملزمون عند الخصام بألا يَمُرَّ على أحدهم ثلاث ليال، فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما من يبدأ بالسلام، إلا أن تكون خصومة لله ﷻ عند انتهاك محارمه، فعندها يكون الزجر بالهجر.

وقد وردت هذه الصفة في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **{ أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ... وإذا خاصَمَ فَجَرَ }.**

كما وردت عدة آيات تخبرنا عن مقدار كيد هؤلاءِ للدعوة وللإسلام، وتحدثنا عما كانوا يدبِّرونه في الخفاء للنيل من الإسلام والمسلمين.

• قال تعالى: **﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾** (النساء).

نزلت هذه الآيات في رهط من المنافقين، فجروا في خصامهم لله ورسوله، وفي خصامهم للدعوة وأصحابها.

• وقال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ (البقرة).

أَلَدُّ الخِصَامِ: الذي لا يتورَّع أن يلجأ إلى كل الطرق من كذب وافتراء، وزور وبهتان، لكي يكيد لخصمه، ولا يستحيي أن يلجأ إلى كل هذا لكي ينتقم من الإسلام والمسلمين.

عن عمَّار بن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أخبرني حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ: **{ فِي أُمَّتِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدُونَ رِيحَهَا، حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَةُ، سِرَاجٌ مِنَ النَّارِ يَظْهَرُ فِي أَكْتَافِهِمْ، حَتَّى يَنْجُمَ مِنْ صُدُورِهِمْ }**(١).

• وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا

---

(١) أخرجه مسلم: ك: صفات المنافقين وأحكامهم، ح (٢٧٧٩)، وقوله: {تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَةُ} ويُروَى{تكفيهم}، ويُروَى{تكفتهم}، ومعناه: تميتهم وتغطيهم في قبورهم، وقد فسَّر المراد بالدبيلة بما بعدها وهو (سراج من النار). انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٨/ ٣١٠)، وشرح النووي على مسلم (١٧/ ١٢٥).

وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (الأحزاب).

والإيذاء من الفجور في الخصام، أولئك هم الفجرة الذين استباحوا الأعراض، وانتهكوا الحرمات؛ ليرضوا شهوة الحقد التي استقرت في أعماق قلوبهم.

• وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾ (المجادلة).

نزلت هذه الآيات في المنافقين، كانوا يتناجَون مع اليهود فيما بينهم، تآمرًا وكيدًا.

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: [كانوا يتناجون بينهم، وكان ذلك يغيظ المؤمنين، ويَكْبُرُ عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾] (المجادلة).

• وقال تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾ (المنافقون).

إن المنافقين أكل الحقد قلوبهم، واستولت الضغينة على نفوسهم، يستغلون كل فرصة للكيد للإسلام والمسلمين.

ولولا حكمة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإيمان أصحابه لاندلعت نار الفتنة، ولَتَزَعَّمَ رأس المنافقين (ابن أُبيّ) حركة ثورية انتقامية (١).

فالفجور في الخصام: آفة من آفات النفاق، وخَصلة من خصال المنافقين ما بقيت السموات والأرض. فإن كان الهدف منه تعطيل الرسالة وأعمال الدعوة، والكيد للإسلام، وهدم سيادته وأهدافه وأركانه، فهذا أشرُّ أنواعه وأقبحها.

❁ ❁ ❁

(١) راجع أسباب نزول هذه الآيات: تفسير الطبري، وابن كثير، وسيرة ابن هشام.

الخصلة الخامسة

(الشحُّ والبخل، ومنع الزكاة والماعون)

المنافق شحيح بماله في الإنفاق في سبيل الله.

• قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (التوبة).

﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾: تعبير عن الشُّحّ والبخل، حيث يَضِنُّون بالمال، فلا ينفقونه في سبيل الله، والبخل لا يجتمع مع الإيمان في قلب العبد، وليس هناك داء أدوأ من البخل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ الله وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ أَبَدًا، وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا }(١).

فانظر كيف نفى الإيمان عن البخيل، وهما صفتان متضادتان، كما أن الحياء والإيمان صفتان لا تفترقان.

---

(١) أخرجه النسائي: ك: الجهاد، ب: فَضْلُ مَنْ عَمِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى قَدَمِهِ، ح (٣١١٠)، والحاكم، ح (٢٣٩٤)، وابن حبان، ح (٣٢٥١)، وصحَّحه الألباني.

وقال أبو بكر الصديق لجابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: [وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ]؟! (١).

وَعَنْ نَافِعٍ قَالَ: سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا يَقُولُ: الشَّحِيحُ أَعْذَرُ مِنَ الظَّالِمِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: كَذَبْتَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { **الشَّحِيحُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ** }(٢).

وهذا زجر شديد للبخلاء، حتى ينتهوا عن بخلهم وشحِّهم. فكل شحيح يدخل النار لتطهِّره من الشُّحّ والبخل (ما لم يكن منافقًا)، ثم يدخل الجنة.

أما منع الزكاة، فالزكاة صفة ملازمة في وصف المؤمنين.

• قال تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾** ﴾ (المؤمنون). وهي من أركان الإسلام الخمسة التي بُنِيَ عليها.

وكان أول شيء حاول المنافقون هدمه من الإسلام هو: ركن الزكاة، فقيَّض الله تعالى لذلك أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث

---

(١) أخرجه البخاري: ك: المغازي، ب: قصة عمان والبحرين، ح (٤٣٨٣)، وانظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦٥).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ح (٤٠٦٦).

عقد أحدَ عشرَ لواءً لإعادة الخارجين على الإسلام من المرتدين مانعي الزكاة.

وقال الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: [وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا](١).

وعَنِ الْحَسَنِ البَصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: « الْمُنَافِقُ الَّذِي إِذَا صَلَّى رَاءَى بِصَلَاتِهِ، وَإِنْ فَاتَتْهُ لَمْ يَأْسَ عَلَيْهَا، وَيَمْنَعُ زَكَاةَ مَالِهِ »(٢).

ألا يعلم هؤلاءِ أن البخل وقبض اليد عن الإنفاق في سبيل الله لإعزاز الدين ونشره في ربوع العالمين من أسباب التهلكة والاستبدال.

قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (البقرة).

• وقال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ (محمد).

(١) أخرجه البخاري: ك: الزكاة، ب: وجوب الزكاة، ح (١٤٠٠).
(٢) صفة النِّفاق وذم المنافقين للإمام الفريابي، رقم (٦٤)، ص (١٠٩).

• وأما (منع الماعون عن الناس):

فالماعون: هو كل مُعاوَنة بمال أو منفعة أو غيره، وقَالَ عِكْرِمَةُ: « رَأْسُ الْمَاعُونِ: زَكَاةُ الْمَالِ، وَأَدْنَاهُ: الْمُنْخُلُ وَالدَّلْوُ وَالإِبْرَةُ ».

وقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: «وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ، قَالَ: الْمَعْرُوفُ. وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ { كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ }»(١)، ومنع الماعون هو إحدى آفات النِّفاق العمليَّة، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ (الماعون). فمنع المعروف عن الناس عمل ذميم، لا يُقدِم عليه إلا كلُّ من كان لئيم الطبع، شحيح النفس، وَضِيعَ الخُلُقِ. بينما المؤمن بطبعه وسجيَّته يقدِّم المعروف للناس، شغوف بمساعدتهم. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ}(٢).

۞ ۞ ۞

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧١)، والحديث رواه البخاري (٦٠٢١)، ومسلم (١٠٠٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه: ب: من كان مفتاحًا للخير، ح (٢٣٧)، وابن المبارك في الزهد ح (٩٦٨)،وحسَّنه الألباني.

الخصلة السادسة

(الجُبن)

وهو صفة ملازمة للمنافقين. فالمنافق جبان عند اللقاء، فتجده في آخر الصفوف، يثبِّط العزائم، ويعتذر بالكذب بسبب ضعف العقيدة، والخوف من مقاتلة المشركين.

• قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٥٤) ﴾ (آل عمران).

نزلت هذه الآيات بعد غزوة أحد، عقب هزيمة المسلمين أنزل الله على عباده المؤمنين أَمَنَةً نُعاسًا، أما المنافقون من جبنهم وما استولى عليهم من الخوف والفزع لم يداعبهم النُّعاسُ لحظة واحدة، وإنما شغلهم عن ذلك الجبن والظن السيئ بالله عَزَّ وَجَلَّ.

• وقال تعالى: ﴿ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَـٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ۝٥٧ ﴾ (التوبة).

ووصفهم في الآية التي قبلها بقوله: ﴿وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ۝٥٦ ﴾ (التوبة) أي جبناء.

يصور الله تعالى جبنهم تصويرًا بديعًا يبين مقدار هذا الهلع والجبن والجزع، فأنبأ عنهم أنهم لو استطاعوا أن يجدوا حصنًا يلجَئُون إليه، أو مغارة أو نفقًا لولَّوْا إليه، يبغون الاختفاء والفرار في سرعة تَفوقُ سرعة الفرس الجموح.

• وقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ۝٨٦ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ۝٨٧ ﴾(التوبة).

﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ ﴾ تقريع وتوبيخ، حيث وصفهم بالتخلف عن الغزو كشأن النساء. صورة من التوبيخ يندى لها جبين أصحاب الضمائر السليمة. صورة من الجبن تأباها النفوس الكريمة.

• وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَـٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن

يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ (الأحزاب).

• وقال تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾ (الأحزاب).

• تَدَبَّرْ مظاهرَ الجُبْنِ والخَوَرِ في هذه الآيات:

١ـ كذبهم بأن بيوتهم عورة، هربًا وخوفًا.

٢ـ لا يقاتلون إلا قليلًا، خوفًا من الموت، وجُبْنًا عن لقاء العدو.

٣ـ يثبِّطون المسلمين عن الخروج، وينتحلون الأعذار.

٤ـ تشبيه نظراتهم خوفًا وهلعًا بنظرات رجل يعالج سكرات الموت.

٥ـ سيطرة الوهم على نفوسهم لأنهم جبناء، وخوفهم من القتال.

٦ـ رغبتهم في الفرار عند سماع خبر قدوم الأعداء.

• وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ (محمد).

• وقال تعالى: ﴿... يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ (المنافقون).

وإنما اتَّصَفُوا بذلك: بسبب ضعف العقيدة، والخوف من مقاتلة المشركين. قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ... ﴿١١﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ (الفتح).

فقد اعتذروا عن تخلفهم عن الجهاد مع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالانشغال بالأهل والأموال، وأخفَوا الحقيقة التي من أجلها تخلَّفوا، وهي: الجبن، وظنُّهم أن المشركين سوف يستأصلونهم.

۞ ۞ ۞

الخصلة السابعة: (الخداع)

• قال تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝١٠ ﴾ (البقرة)، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝٢٠٤ ﴾ (البقرة).

فهم يُظهِرون خلاف ما يُبطِنون، حيث يعيشون بين صفوف المؤمنين لا مناصرة لهم، وإنما لإشباع رغبتهم ونهمتهم، وإرضاء شهواتهم ببغضهم، والحقد عليهم. يريدون أن يخدعوا المؤمنين بإظهار الإسلام وإسرار الكفر، أسماؤهم إسلامية، تسلط عليهم الأضواء، وهم يصلون الجمع والأعياد، حتى وهم يحتفلون بليلة الإسراء، أو ليلة القدر، أو تكريم حفظة القرآن الكريم.

• ومن الخداع: الاحتيال على الدنيا بالدين

ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أَمَرُّ من الصبر. يجترئون على الله ﷻ، ويفترون عليه.

وقد وقع في هذه الآفة بعض طلبة العلم، وبعض الصالحين ممن أغرتهم الدنيا فطلبوها بالدين. يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.

۞ ۞ ۞

الخصلة الثامنة

(بغض أهل الإيمان والحقد عليهم)

يغيظهم تمسُّك أهل الإيمان بالسُّنَّة، وعلوُّ قدرهم ومكانتهم، باهتمامهم بكتاب الله تعالى، حفظًا وفهمًا، وعملًا ودعوة وحُكمًا.

قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ (آل عمران).

في هذه الآيات المباركات ينهَى الله سبحانه المؤمنين عن مصادقة المنافقين والركون إليهم، لأن هؤلاءِ المنافقين لا يدَّخرون جُهدًا في الإفساد والكيد للمؤمنين، ويتمنَّوْن شدَّة الضرر والمشقة لهم ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾، وقد بدت البغضاء في كلامهم لفرط بغضهم، غير أن قلوبهم قد انطوت على ما هو أكبر من ذلك من حقد وضغينة للمؤمنين.

• **حقد وضغينة**: إذا انصرفوا عضُّوا أصابعهم غيظًا وحسرة، لأنهم لا يجدون سبيلًا للتشفي والانتقام من المؤمنين. استولى الحقد على قلوبهم. يُساءون لكل حسنة أو خير يناله المسلمون.

ويُسَرُّون ويطربون لكل شرٍّ ومصيبة تقع بالمسلمين.

وقال تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٠﴾ ﴾ (محمد).

فهذا الحقد والضغينة شُعبة من شُعَب النِّفاق، لا تحمل قلوبهم حبًّا للمؤمنين، وإن بدا هذا في كلامهم. يتربصون الدوائر بالمسلمين ويتمنون لهم الشر. إنهم يتحسَّرون على كل فرصة لا يستطيعون الكيد فيها للإسلام والمسلمين. فأي فئة أشرُّ من هذه الفئة؟! وأي خَلْقٍ أسوأ حالًا من هؤلاءِ المنافقين؟!.

ومن ذلك بغضهم للمهاجرين، والأنصار من الصحابة والكرام من أجل نصرتهم لهذا الدين.

فأصحابُ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الغرُّ الميامينُ، هم الذين رضي الله عنهم، ورضوا عنه، وهم ركن الدين المتين، وأول طبقة حملت الدين، وكان الوحي يسدِّد أخطاءهم، وشرط قبول الإيمان من أي أحد أن يكون وفق إيمانهم، وهم الذين نشروا الدين، وفتحوا البلاد وقلوب العباد. فمَنِ انتقص واحدًا منهم فقد حادَّ الله ورسولَه،

وطعَنَ في الوحي.

لذلك كانت علامة أهل السنة والجماعة حبَّ أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وموالاتهم، والبراءة ممن يُبغضهم ويُعاديهم.

عَنِ البَرَاءِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: { **الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ** }(١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، قَالَ: { **آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ** }(٢).

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: [وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إِلَيَّ: أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ](٣).

وقالَ خَيْثَمَةُ: « وَاللهِ مَا أَحَبَّ مُنَافِقٌ مُؤْمِنًا أَبَدًا »(٤).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: مناقب الأنصار، ب: حب الأنصار من الإيمان، (٣٧٨٣)، وبمعناه في مسلم: ك: الإيمان، ب: الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان، (٧٤).

(٢) أخرجه البخاري: ك: الإيمان، ب: علامة الإيمان حب الأنصار، ح (١٧)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان، ح (٧٤).

(٣) أخرجه مسلم: ك: الإيمان، ب: الدليل على أن حب الأنصار وعليٍّ من الإيمان (٧٨).

(٤) صفة النفاق وذم المنافقين للفريابي، رقم (٩٢)، ص (١٣٠).

فالمنافق يرى في صورة المؤمن الصالح أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويشمُّ رائحتهم الذكية، وأعمالهم المباركة.

لذلك تجدهم يسخرون منهم، ويقلِّلون من شأنهم، ويكثرون الهمز واللمز حول أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. تارة يتهمون ذاكرتهم وقوة عبقريتهم في الحفظ، وتارة يسخرون من جهادهم وفتحهم البلاد، ونشرهم الإسلام، سواء بالسيف أو بالحكمة.

وكلما أكلت الغيرة من هذا الدين في قلوبهم ظهر ذلك على فلتات ألسنتهم بالسوء. فهي كالسُّمِّ الزُّعاف. أولئك أحبار السوء. دعاة على أبواب جهنم.

❁ ❁

ومما يماثل ذلك في عصرنا الحاضر ما يقوم به أمثال هؤلاء المنافقين من العلمانيِّين وغيرهم، ـ الذين لا يألون جُهدًا في التعرُّض بالسَّلْب لشعائر الإسلام، والطعن في سنَّة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ من الجرائم التالية:

• وضع المساجد تحت الرقابة، وإغلاقها بعد الصلوات، والتحكم فيها بأهوائهم، يأذنون فيها لمن يشاءون، ويمنعون من يشاءون.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ (البقرة).

• التصريح بكراهيتهم لحجاب المرأة المسلمة ونقابها، واستبدال غطاء الرأس أو ما يسمى حجاب الموضة بالحجاب الشرعي، وكراهيتهم للزيِّ العربي عمومًا، وحبهم للتبرج والسفور.

• كراهيتهم التشبه بلحية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتمسك بها، واستخفافهم بوجوبها، والسخرية منها، وممن يتمسَّك بها.

• كراهيتهم الجهاد في سبيل الله، وحصره في قتال الدفع، وذلك لهدم أعظم عبادة ومَهَمَّة للمسلمين، وهي: نشر الإسلام في ربوع الأرض، فالمسلمون حملة رسالة الرسل والأنبياء، وفي قلوبهم وحدهم مسؤولية هذه الدعوة، وهداية الناس.

• كراهيتهم للُّغة العربية، لغة القرآن، وأهل الجنة، وهي أم اللغات وأجملها، وتفضيلهم اللغات الأجنبية عليها، وحرصهم على تعليم أولادهم من الرَّوضة حتى الجامعة لغات الغرب، بينما لا تحوز لغة القرآن والسنة هذا القدر من اهتمامهم.

• كراهيتهم للتاريخ الهجري الذي ترتبط به كل عبادات المسلمين: من الصيام، والزكاة، والحج، والكفارات، وسائر أيام الله تعالى، والمناسبات الإسلامية، وغزوات الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وفتوحات الإسلام، وتفضيلهم التاريخ الميلادي الصليبي الوثني عليه.

• كراهية ما فيه رضوان الله عَزَّ وَجَلَّ، واتباع ما فيه سخط الله تعالى.

• كراهيتهم للاقتصاد الإسلامي الخالي من الربا، وتمسُّكهم بالربا ومعاملاته، ودفاعهم عنه دفاع المستميت.

• اعتبارهم التمسُّك بالإسلام تشدُّدًا وإرهابًا، والتفريط فيه وسطية واعتدالًا. يقولون: ﴿ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ ﴾.

• دينهم المصلحة: ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴾

• يفضِّلون الدنيا على الآخرة، وحياتهم إلى المادية أسرع.

• معروفون بلحن القول: ﴿ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ ﴾.

۞ ۞ ۞

الخصلة التاسعة

(تثبيط الهمم، وإشاعة الفشل، وإيقاد نار الفتن بين المسلمين، وتخذيل أهل الإيمان عند الشدائد)

يتخاذلون عن نصرة المؤمنين، ويُخَذِّلون عن الكافرين، ويشيعون الفشل في صفوف المسلمين حتى لا ينتصروا على الكافرين.

فهم يخذلون أهل الإيمان عند الشدائد، وفي الجهاد، والغزو. فيفضح الله تعالى تكذيبهم، وما يُقسِمون عليه بالإيمان أنهم مسلمون منَّا.

• قال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (التوبة)

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (التوبة).

• قال تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ

مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (آل عمران).

وسبب نزول هذه الآية: هو « أن رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إلى غَزْوَةِ أُحُدٍ في أَلْفِ رَجُلٍ مِن أصحابِهِ. حَتَّى إذَا كَانُوا بِالشَّوْطِ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأُحُدٍ، انْخَزَلَ (تراجع وتخاذل) عَنْهُ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ بن سَلُولَ بِثُلُثِ النَّاسِ، وَقَالَ: أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي، مَا نَدْرِي عَلَامَ نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَرَجَعَ بِمَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالرَّيْبِ، وَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، أَخُو بَنِي سَلِمَةَ، يَقُولُ: يَا قَوْمِ، أذكِّركم اللهَ أَلَّا تَخْذُلُوا قومكم ونبيّكم عِنْدَ مَا حَضَرَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَقَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَمَا أَسْلَمْنَاكُمْ، وَلَكِنَّا لَا نَرَى أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالٌ. قَالَ: فَلَمَّا اسْتَعْصَوْا عَلَيْهِ وَأَبَوْا إِلَّا الِانْصِرَافَ عَنْهُمْ، قَالَ: أَبْعَدَكُمُ اللهُ أَعْدَاءَ الله، فَسَيُغْنِي اللهُ عَنْكُمْ نَبِيَّهُ »(١).

فهؤلاءِ المنافقون كانوا يعلمون تمام العلم، ويوقنون تمام اليقين أن القتال لا محالة واقع، غير أنهم أرادوا تبرير مسلكهم السَّيِّئ. في أنهم يُظهِرون خلاف ما يُبطِنون.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق السقا (٢/ ٦٤).

• قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ (آل عمران).

بعد غزوة أحد، وبعد أن قُتل من المسلمين ما يزيد على السَّبعين، ويُجرَح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتَسيل دماؤه، ويُشاع قتله، يخرج هذا المنافق ليكون داعية للفشل والهزيمة ويقول: «هل لنا من الأمر شيء؟ أين ما وعدنا به من نصر من محمد وربه؟».

هم دعاة للفشل والفوضى، مثبِّطون لهمم المسلمين العالية، ليوهنوا العزائم، ويُضعفوا النفوس، ويُفرِّقوا الصفَّ ليكونوا عونًا للأعداء، ذلك حين تقع الهزيمة، ويمتحن بها المؤمنون، غير أن المؤمن القوي، الثابت في إيمانه، لا تزعزعه النكبات، ولا تضعفه البلايا والخطوب.

• وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟

لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (آل عمران).

كلمة نسمعها كثيرًا، قالها المنافقون الأوائل، ويقولها المنافقون في هذا الزمان ﴿ لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ ﴾، يريدون بلبلة الأفكار، وتثبيط همم الدعاة إلى الله، ودعوة منهم للهزيمة والاستسلام. وعندها يُصغي إلى هذه الأقاويل مرضى القلوب، وضعاف النفوس من الأمهات والأخوات والأزواج... مشهد مؤلم، لكن الله تعالى ردَّ على هذا القول الباطل ليطمئن المؤمنين، ويبشرهم بالمغفرة والرضوان، طالما كانوا يقاتلون في سبيل الله صادقين.

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (آل عمران).

هي دعوةٌ، الهدف الرئيسي منها التثبيط، ليكون ذلك مدعاة لعدم خروجهم مرة ثانية، وسببًا في تمرُّدهم على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، والملتزمين والمتمسِّكين بهديه في كل

زمان ومكان. إنها دعوة للهزيمة والفرقة.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (النساء).

تثبيط وإرجاف قبل بدء المعركة: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾، وعقب عودة المسلمين من المعركة: ﴿ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾، وهذا كقولهم: ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾، فهم يغتنمون أي فرصة في أي وقت للإحباط وإشاعة الفشل، وتثبيط الهمم.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ (الأحزاب).

يريدون بأي شكل تعويق الأمة عن الجهاد في سبيل الله، وإشاعة الفشل. أولًا بالقول: ﴿ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾، وثانيًا بالفعل: ﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾.

وقال تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ (الأحزاب).

وهذه الصفة من أهم آفات النِّفاق، فهي جزء من برنامج الطابور الخامس، الذين يعملون لحساب أعداء الأمة.

وانظر وتأمل دعاءهم ونداءهم للمجاهدين ليتمتعوا بالظلال والثمار والماء البارد. وتزيين التقاعد لهم.

ومن هنا يتضح لنا كيف أن المنافقين كانوا يقومون بدور خطير لصالح الأعداء، سواء كان ذلك عن قصد منهم، أو دَفَعَهُم الحقد والحسد والرغبة في الانتقام، يشيعون الأقاويل التي تحطِّم الروح المعنوية للمجاهدين، يبغون من وراء ذلك قتل روح حبِّ الجهاد والشهادة في سبيل الله ﷻ، وترغيبهم في البقاء. سبحان الله! فنٌّ في التعويق غريب وخطير، ولكن أَنَّى لهم من سبيل في زعزعة عقيدة الموحِّدين، قد ينجحون في إيجاد الفرقة والانقسام، وإغراء ضعاف الإيمان، ولكن يفشلون بجهلهم أنهم سبب قدري في التمحيص والتصنيف حتى يرتدَّ مَن يرتدُّ، وينافِقَ مَن ينافِقُ، ويُداهِنَ مَن يداهِنُ، ثم تثبت الفئة المؤمنة، فيجعلها الله تعالى ستارًا لقدرته، وأداة لنصرة دينه في الأرض،

ويمكِّن لهم، وينصرهم.

• ذلك فضل الله تعالى الذي كَلَأَ به دعوته، وتلك رحمته التي خَصَّت رسوله والمؤمنين من عباده.

هل كان للمسلمين أن ينتصروا إزاء تلك النكبات والتحديات التي أحاطت بهم في غزوة الأحزاب؟ هل كان لهم أن يتمتعوا بالحياة مرة أخرى بعد أن تألَّبت عليهم معظم قبائل العرب، وتحالف اليهود مع المشركين، وتنكَّروا للمسلمين؟

لكن الفضل لله تعالى، والمِنَّة منه سبحانه، والرحمة يختص بها من يشاء من عباده. قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ (الأحزاب).

❁ ❁ ❁

الخصلة العاشرة

(المسارعة في الإثم والاغترار به، والعدوان وأكل المال الحرام)

• قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (المائدة).

نزلت هذه الآيات في منافقي أهل الكتاب خاصَّة، أو في المنافقين عامَّة. فكان الدليل على أن قلوبهم منطوية على الكفر، وقد ملئت كفرًا أن الكثير منهم يسارعون إلى الإثم والعدوان وأكل السحت (الحرام). فلو أنهم صدقوا في إسلامهم، وصدقوا النية ما فعلوه.

لذلك أمر الله تعالى المؤمنين بقوله ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ (المائدة:٢).

والمسارعة في الإثم والعدوان وأكل المال الحرام غالبًا ما يكون سببه العجب والكبر والغرور والعناد، وهي آفة من آفات النفاق، وصفة من صفات المنافقين.

إنه الكبر والغرور في أبشع صوره، وهو(الاعتزاز بالإثم).

يتضح للمرء خطؤه، فيُصِرُّ عليه، ولا يُقِرُّ بِهِ، ولا يريد أن يستغفر من سوء ما فعل. نفوسهم الضعيفة تأبى عليهم إلا الإصرار على الإثم، والجمود على الباطل. تأبى عليهم قلوبهم التي امتلأت كبرًا وبهتانًا أن تتراجع أمام الحق، ولو بدا للناس جميعًا.

• قال تعالى: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (البقرة).

يتضح من الآيات أن فريقًا من المؤمنين كانوا ينصحون المنافقين بعدم الإفساد في الأرض، بما يحدثون من فتن وقلاقل، وتهييج للحرب، وإحداث للشغب في صفوف المسلمين، وموالاة أعداء الله تعالى من أهل الكتاب وغيرهم، فكانوا يزعمون أن ذلك هو الإصلاح، وأنهم ليسوا بمفسدين، وإنما هم مصلحون، ويدعون أن لهم مزية في الإيمان عن سائر الناس.

• وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ (البقرة).

تَشبُّثٌ بالإثم، وإصرارٌ على فعله، فإذا ذُكِّرَ بالرجوع أو العدول خشية لله تعالى وإرضاءً له، عمي قلبه، وازداد بهذا التذكير إثمًا وإصرارًا على الباطل الذي تشبَّثَ به.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾ (المنافقون).

فالاغترار بالإثم والاعتزاز به آفة من آفات النفاق، وخصلة من خصاله.

أخرج ابن جرير عن قتادة قال: [قيل لعبد الله بن أُبيٍّ - رأس النِّفاق - لو أتيت النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستغفر لك، فجعل يلوي رأسه، فنزلت فيه هذه الآية](١).

ألا يَعلَمُ هؤلاءِ خطورة هذا الكبر والعُجبِ والغُرورِ؟!

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ** }؟ قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: { **إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ** }(٢).

۞ ۞ ۞

(١) تفسير ابن جرير (٢٣/ ٤٠٠).

(٢) أخرجه مسلم: ك: الإيمان، ب: تحريم الكبر وبيانه، ح (٩١).

الخصلة الحادية عشرة

(مذبذب، ذو وجهين)

• قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (البقرة).

ذو الوجهين: شخص حائر مذبذب يلتقي بأحد الفريقين المتباغضين، فيمدحه، ويكيل المدح له، ويسبُّ الفريق الآخر، ويبالغ في الفحش فيه.. حتى إذا التقى بالفريق الآخر فعل معه مثل ما فعل مع الأول. وما أكثرَ هؤلاءِ وما أخبثَهم!.

قال تعالى فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾ (النساء).

وقال تعالى: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ (النساء).

قَالَ قَتَادَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ مُخْلِصِينَ، وَلَا مُشْرِكِينَ

مُصَرِّحِينَ بِالشِّرْكِ »(١).

عُرِفوا بأعمالهم الخبيثة، يظهر فيهم الجفاء، وقلة العلم، وترك السنة، حَيارَى سُكارَى، ليسوا بيهود ولا نصارى ولا مجوس، فهم يُعذَّبون بكفرهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا، وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، أَكْرَهُهُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، وَتَجِدُونَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ }(٢).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { مَثَلُ الْمُنَافِقِ، كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً }(٣). فهو كالحرباء المتلونة، لا يُعرف لها لون.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٠).

(٢) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ب: قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ ح (٣٤٩٣- ٣٤٩٤)، ومسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: خيار الناس، ح (٢٥٢٦).

(٣) أخرجه مسلم: ك: صفات المنافقين وأحكامهم، ح (٢٧٨٤).

وَعَنْ عَبْدِ الله رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قَالَ: [مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ وَالْكَافِرِ مَثَلُ ثَلاثَةِ نَفَرٍ انْتَهَوْا إِلَى وَادٍ فَوَقَعَ أَحَدُهُمْ فَعَبَرَ، ثُمَّ وَقَعَ الآخَرُ حَتَّى أَتَى عَلَى نِصْفِ الْوَادِي نَادَاهُ الَّذِي عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي: وَيْلَكَ أَيْنَ تَذْهَبُ؟ إِلَى الْهَلَكَةِ، ارْجِعْ عَوْدَكَ عَلَى بَدْئِكَ، وَنَادَاهُ الَّذِي عَبَرَ: هَلُمَّ النَّجَاةَ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى هَذَا مَرَّةً وَإِلَى هَذَا مَرَّةً، قَالَ: فَجَاءَ سَيْلٌ فَأَغْرَقَهُ وَالَّذِي عَبَرَ الْمُؤْمِنُ وَالَّذِي غَرِقَ الْمُنَافِقُ، مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هؤلاء والذي مكث الكافر](١).

كما أنهم يمدحون الحكام في وجوههم، ويذمُّونهم عند الخروج من عندهم.

عَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ، قَالَ: دَخَلَ نَفَرٌ عَلَى عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَوَقَعُوا فِي يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَتَنَاوَلُوهُ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ الله: هَذَا قَوْلُكُمْ لَهُمْ عِنْدِي، أَتَقُولُونَ هَذَا فِي وُجُوهِهِمْ؟ قَالُوا: لَا بَلْ نَمْدَحُهُمْ وَنُثْنِي عَلَيْهِمْ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: [هَذَاالنِّفَاقُ عِنْدَنَا](٢).

فهذه خصلة من أذمِّ الخصال وأبشعِها، لا يتَّصِفُ بها إلا ضعاف النفوس، وبغاة المطالب والعروض. الذين يُغريهِمُ المَغنمُ،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطيب، برقم (٦١٤٤).
(٢) صفة النفاق وذم المنافقين، رقم (٦٢)، ص (١٠٨).

ويصرفهم عن طاعة الله ورسوله، وما أكثَرهم في هذا الزمان!، وهي داء عضال في الأمة الإسلامية يبتلى به ضعاف النفوس، وطلاب الدنيا، ودعاة السوء والانهزامية.

وهذا التذبذب والتأرجح بين الكفر والإيمان، إنما يكون عن آفة من آفات النفاق، وهي: ضعف البصيرة واليقين في الله ﷻ، وانعدام الرؤية. قال تعالى: ﴿ **إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴿٤٩﴾ ﴾ (الأنفال).

نزلت الآية في غزوة بدر، لما رأى المنافقون أن المسلمين قلة، وأن عدد المشركين يفوق عدد المسلمين بكثير، قالوا هذه القيلة: ﴿ **غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ** ﴾. وهذا القول لا يقوله مَن صحَّ معتقده، ووثق بربه، وتسامَى عن السَّفاسِفِ.

وقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا** ﴿١٢﴾ ﴾ (الأحزاب).

ونزلت هذه الآية في غزوة الأحزاب حين قال قائل من المنافقين: «كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَحَدُنَا لَا يَقْدِرُ

عَلَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ»، فأنزل الله تعالى هذه الآيات.

قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا
وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ
لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا
﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ
فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ (الفتح).

وراء هذا التخلف عن الجهاد وطلب العلم الشرعي حُجج واهية، وظن سيء، طلاب سمعة ورياء وحب للظهور، جمعوا بين اللؤم والخِسَّة، وتفاهة التفكير ودناءة النفس، وانحطاط الغاية وقصر الأمل. فالويل كل الويل لطائفة هذا شأنها، أساءت الظن بربها وبأهل الحق، وذلك بما كسبت أيديهم، وما انطوت عليه نفوسهم من الكيد والشرِّ للمؤمنين.

۞ ۞ ۞

الخصلة الثانية عشرة

(السفاهة، والاستهزاء)

(سفاهة الرأي، وفساد العقيدة، والسخرية من المؤمنين أصحاب العقيدة الراسخة والتوحيد الخالص)، هي سِمات يتميَّزون بها:

• قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (آل عمران).

نزلت هذه الآياتُ بعدَ غَزْوَةِ أحُدٍ، بعد أنْ شاعَ أنَّ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد قُتِلَ. فَقَالَ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَالْحَقُوا بِدِينِكُمُ الْأَوَّلِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: يَا قَوْمُ إِنْ كَانَ قُتِلَ مُحَمَّدٌ، فَإِنَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ لَمْ يُقْتَلْ، وَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَ رَسُولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ فَقَاتِلُوا عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: [اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ -يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ- وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ] يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ شَدَّ بِسَيْفِهِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فنزلت: ﴿ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾.

أي ومن يرتد عن دين الله ﷻ فلن يضرَّ الله ارتداده، وسيجزى الله الشاكرين أمثال أنس بن النضر(١).

• وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ (آل عمران).

وهكذا يتولى الله تبارك وتعالى الردَّ على سفاهة رأي المنافقين، وفساد عقيدتهم بأسلوب فيه تبكيت لهم، وطمأنة للمؤمنين.

• وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ (النساء).

كان المنافقون إذا أصابتهم حسنة كأن تنتج مواشيهم وخيولهم، ويحسن حالهم، وتلد نساؤهم الغلمان.. ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ١١٤)، وتفسير القرطبي (٤/ ٢٢١).

وإن أصابتهم سيئة من جَدْب وضَرَرٍ في أموالهم تشاءموا برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وقالوا هذه من عندك. يقولون تركنا ديننا واتبعنا محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فأصابنا هذا البلاء. فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ . ثم يوبِّخُهُم الله تعالى ويبكِّتُهُم، ويعجب من هذه الآراء الفاسدة: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨ ﴾ .

• وقال تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٩ ﴾ (التوبة).

وفى هذه الآية يتضح مدى السفاهة التي تصدر عنها آراؤهم، والفساد الذي ينبع من عقيدتهم.

• وقال تعالى: ﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦١ ﴾ (التوبة).

قيل: إنها نزلت في بعض المنافقين الذين يستمعون إلى حديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ثم ينقلون هذا الحديث إلى المنافقين.

• وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ (التوبة).

نزلت هذه الآيات في بعض المنافقين، والنبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ منطلق إلى غزوة تبوك. فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر (يعنى الروم) كقتال العرب بعضهم بعضًا... والله لكأنَّا بكم غدًا مقرنون في الحبال. إرجافًا وترهيبًا للمؤمنين.

وقال بعضهم: ما بال قرائنا أوسعنا بطونًا، وآخرنا صفوفًا، وأجبننا عند اللقاء، فأرسل إليهم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عمار بن ياسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فأتوا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت (وكان من المنافقين): « يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ».

وسبحان الله! تتكرَّر هذه السخرية وهذا الاستهزاء في هذا الزمان تارة بأهل السنة، وأخرى بأحكام الإسلام وشرائعه، وأخرى برسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولقد أشار القرآن إلى أن هذا الاستهزاء صفة ملازمة للمجرمين من المنافقين.

فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (المطففين).

كما أنها صفة ملازمة للكفار. قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾ (البقرة).

۞ ۞ ۞

الخصلة الثالثة عشرة
(قلة الاهتمام بمجالس العلم والعلماء)

استهزاءًا وتهاوُنًا بكلام الله تعالى، وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ (محمد).

وهذا داء قد انتشر حتى بين طلبة العلم، فضلا عن العوام، فإذا سألت أحدهم بعد خطبة الجمعة مثلًا عن موضوع الخطبة، وفيما تحدث فيه الشيخ، وما الدروس المستفادة من هذه الخطبة؟ تجده تائهًا سارحًا ذهنه، لا يستحضر جوابًا، كأنه جاء لقضاء بعض الوقت في نزهة في المسجد ثم عاد منه.

۞ ۞ ۞

الخصلة الرابعة عشرة

(الـردّة)

• قال تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ (آل عمران).

• وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ (آل عمران).

نزلت هذه الآيات في أقوام أسلموا نفاقًا، ولكنهم ما لبثوا أن تخلَّوْا عن دينهم، وارتدوا عن عقيدتهم، ومنهم منافق بني حنيفة (الرّجّالُ بْنُ عُنْفُوَةَ) الذي قدم مع وفد بني حنيفة، وأسلم وتعلم القرآن من أبيٍّ بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعاد إلى اليمامة ليعلِّم قومه

أمور دينهم، وما كاد يظهر كذاب اليمامة (مسيلمة الكذاب) حتى أسرع هذا المنافق يؤيدهويناصره، ويتوافد القوم ضعاف الإيمان والجهلة بأمور الدين ليسألوه، فيؤكد لهم أن مسيلمة نبيٌّ، وشريك محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأمر؛ فيتكاثر الناس حول مسيلمة يناصرونه بدينه المزعوم، وما ذلك إلا بفضل مجهودات ذلك المنافق الأثيم (الرَّجَّالُ بْنُ عُنْفُوَة) (١).

وسيأتي تأكيد هذه الردَّة عند الحديث عن موالاة المنافقين للكافرين.

ويتبع هذه الردة:

(الاضطراب والتردُّد في العقيدة):

هذا الاضطراب في العقيدة أمر لا يتصف به إلا من داعب النِّفاقُ قلبَه. قال تعالى: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ (النساء).

وقال تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا

---

(١) أورده ابن سعد في الطبقات الكبرى، راجع تفسير ابن جرير، وابن كثير في هذه الآيات.

يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ
فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ
يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (البقرة).

ضرب الله تعالى مثلين في هذه الآيات للمنافقين.

الأول: كرجل أوقد نارًا، فأضاءت له ما حوله، وانتفع بها، وأبصر بها. وبينما هو كذلك إذ أطفئت ناره؛ فأصبح في ظلام دامس يتخبط في حيرة من أمره. وكذلك المنافق يؤمن ثم يكفر. يَحارُ ويتردَّد.

والثاني: شبه قلب المنافق بالمطر فيه ظلمات، ورعد، وبرق.

ظلمات: لما يلابسه من الشكوك والكفر والنِّفاق.

ورعد: وهو ما يزعج المنافقين من الخوف والجبن.

وبرق: وهو ما يَلُمُّ في قلوب هؤلاءِ المنافقين أحيانًا من نور الإيمان وضوء الحق وبريقه.

شبَّه الله سبحانه هذه الحالة برجل وجد في هذا الجو من المطر الذي تصحبه الظلمات والرعد والبرق، فإن لمع ضوء البرق واصل سيره، وإلا تحيَّر وتخبَّط من شدَّة الظلام.

۞ ۞ ۞

الخصلة الخامسة عشرة

(الرغبة عن حكم الله ورسوله)

وهي علامة واضحة وملازمة للمنافقين، فهم يزعمون الإيمان، وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم تولوا وهم معرضون، فضَّلوا الاحتكام إلى أعداء الله، وإلى قوانينهم. ولو كانوا مؤمنين حقًا لما أعرضوا عن حكم الله وحكم ورسوله.

مهلًا... أيها المنافق كن على يقين أن الله جلَّ شأنه لابد فاضحك، تحقد على المؤمنين دون ذنب فعلوه، وتغدِر بهم، وترائي بعملك، تبتغى الظهور، وتطلب الإمارة، وتبغي الرئاسة، وتتفانى في ذلك، وترفض التحاكم إلى شريعة الرحمن، وتلجأ إلى شريعة الإنسان والشيطان، كيف تفعل كل هذا، ثم تريد ألا يفضح الله أمرك.

• صفة التحاكم لغير الله ورسوله:

• قال تعالى بكل وضوح لا يقبل التأويل أو الغموض: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ

أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ (النساء).

فقد سمَّى الله تعالى مَن اختار التحاكم إلى غير الله ورسوله تحاكمًا إلى الشيطان (الطاغوت)، فكان المنافقون يؤثرون حكم الكهنة، ويؤثرون حكم الطاغوت (وهو كل باطل) على حكم الله تعالى، وانظر وتأمل في هذه الآيات، كيف أمر الله رسوله بالإعراض عن هؤلاءِ المنافقين، لأنه لا يحترم التحاكم إلى الله ورسوله إلا المؤمن الثابت صحيح الإيمان نقيِّ العقيدة مما يشوبها.

• قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ (النساء).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُقْسِمُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْمُقَدَّسَةِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ حَتَّى يُحَكِّمَ الرَّسُولَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، فَمَا حَكَمَ بِهِ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ الِانْقِيَادُ لَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَلِهَذَا

قَالَ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً أَيْ إِذَا حَكَّمُوكَ يُطِيعُونَكَ فِي بَوَاطِنِهِمْ فَلَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا حَكَمْتَ بِهِ، وَيَنْقَادُونَ لَهُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، فَيُسَلِّمُونَ لِذَلِكَ تَسْلِيمًا كُلِّيًّا مِنْ غَيْرِ مُمَانِعَةٍ وَلَا مُدَافِعَةٍ وَلَا مُنَازِعَةٍ »(١).

عَنْ عَبْدِ الله بْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: سَرِّحِ الْمَاءَ يَمُرُّ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ، فَاخْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزُّبَيْرِ: {اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ}، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ؟، فَتَلَوَّنَ وَجْهُ نَبِيِّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: { يَا زُبَيْرُ اسْقِ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجُدْرِ }، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَالله إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ... ﴾(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠٦).

(٢) أخرجه البخاري: ك: الشرب والمساقاة، ب: سَكْر الأنهار، ح (٢٣٥٩)، ومسلم: ك: الفضائل، ب: وجوب اتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح (٢٣٥٧).

وتأمَّل في هذه الآية: كيف نفى الله تعالى صفة الإيمان عن الذين يرغبون عن حكم الله ورسوله، وأقسم على ذلك بذاته المقدسة أنهم لن يكونوا مؤمنين حتى يَرضَوْا حكم الله ورسوله، وينزلوا عليه.

• وقال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (النور).

انظر كيف وصفهم بمرض القلب (النِّفاق) ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، ثم بالشكِّ ﴿ٱرْتَابُوٓاْ﴾، ثم بضعف العقيدة والظن السيئ ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾. والله سبحانه هو أحكم الحاكمين، الحكم العدل، ثم ختم ببيان حكمه ووصفه لهم بالظلم ﴿بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

إن المنافقين ما كان لهم أن يرضوا بحكم الله ورسوله، بل يضعون العراقيل، ويتعللون بأسباب واهية، بل قد يتعمَّدون تشويه صورة حكم الله ورسوله، جحودًا وتكذيبًا.

فالرغبة عن حكم الله وحكم رسوله: آفةُ النِّفاقِ وشُعبتُه

الواضحة، يستكثرون على الله تعالى اسمه (الحَكَم)، فيعطلون هذا الاسم، وهذه الصفة للذات العلية جلَّ وعلا.

أليس الخالق هو الأحق بحكم خلقه؟! أليس هو سبحانه الأحق بالأمر؟ ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الأعراف).

الذي خلق سبحانه أعلم بخلقه ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ ﴾، فشرع لهم من الأحكام والحدود ما فيه صلاح حالهم وأمنهم وسعادتهم.

أليس هو القائل: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (التين) ؟!. ثم بعد ذلك يُعرِض هؤلاءِ - الذين ملأ النِّفاق قلوبهم وعقولهم- عن حكم الله تعالى إلى حكم الجاهلية الأولى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (المائدة) ؟!.

أليس هو الربَّ المستحقَّ للتشريع؟!. قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (الشورى).

ألم يعلموا أن مَن لم يحكم بما أنزل الله متردِّدٌ بين الكفر والظلم

والفسق، وكلُّ ذلك من الجاهلية؟!

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (المائدة).

ألم يجعل المولى سبحانه من مقاصد بعثة النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يحكم بين الناس بما أراه الله، ولا يتبع أهواءهم، ولا يكونَ للخائنين خصيمًا؟. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ (النساء).

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ (الرعد).

ألم يعلم هؤلاءِ أن من سبب هلاك الأمم السابقة تلاعبَهم بحدود الله تعالى. قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ**

الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ }(١).

فهؤلاءِ كان سبب هلاكهم إقامة الحدود على الضعفاء دون الأقوياء، فما بالك بمن ترك الحدود بالكلية؟!

ألم يعلموا أن حدًّا يُقام في الأرض خير من أن يُمطَروا ثلاثين صباحًا؟!

فالبركة والرزق والنماء والأمن وتحقيق الاستقرار يكون في تحكيم شرع الله تعالى، بينما الهلاك والخسران، والمعيشة الضَّنْك، والفرقة، وجرأة الفُسَّاق والبلطجيَّة يكون في غياب شرع الله تعالى.

إن وراء عدم تطبيق الشريعة منافقين، مُلِئَتْ قلوبهم بغضًا وحقدًا للإسلام والمسلمين، وخوفًا على مصالحهم ومكاسبهم التي جمعوها من حلال أو حرام، بتجارة أو شطارة، وهيهات هيهات أن تحويَ قلوب المنافقين خيرًا!

وما العَيْبُ في شرع الله تعالى؟ أم أنه إرضاء لقوى الشرِّ والإرهاب في الأرض من أعداء الله وأعداء رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

أيهما أحبُّ: مصلحة الوطن (أمنه وسلامته)، أم مصلحة فئة

---

(١) أخرجه البخاري: ك: أحاديث الأنبياء، ب: حديث الغار، ح (٣٤٧٥)، ومسلم: ك: الحدود، ب: قطع السارق الشريف وغيره، ح (١٦٨٨).

من المنافقين لا تعمل إلا لمصلحتها فقط؟!

ويكفينا قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ (الجاثية).

• وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (النور).

يتضح لنا أن المنافقين لا يرضون بحكم الله ورسوله، وإذا علموا أنه سيقضي لهم جاءوا ليتحاكموا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن كان غير ذلك بحثوا عن غيره، ورفضوا التحاكم إليه، رغبة في ترويج باطلهم ظلمًا وجورًا، فبين الله تعالى لنا حقيقتهم: أفي قلوبهم مرض من النِّفاق والشكِّ والرَّيب؟!، أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله؟! ثم يعقِّب الله سبحانه وتعالى على من يفعل ذلك بقوله: ﴿بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

أقوام يريدون أن يُحكَم لهم، سواءٌ أكان معهم الحق أم لا!

فهل هناك أظلم من المنافقين بعد الشرك بالله تعالى؟!

تجد الواحد منهم أشدَّ حرصًا على التعدي على حقوق المسلمين،

ومصادرة أموالهم، ولا يجرؤ على فعل ذلك مع غير المسلمين، ويتجاهل حكم الله تعالى فيما يفعل: ﴿بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وَقَالَ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ: « قَرَأْتُ فِي الزَّبُورِ: بِكِبْرِيَاءِ الْمُنَافِقِ يَحْتَرِقُ الْمِسْكِينُ، وَقَرَأْتُ فِي الزَّبُورِ: إِنِّي أَنْتَقِمُ لِلْمُنَافِقِ بِالْمُنَافِقِ، ثُمَّ أَنْتَقِمُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ جَمِيعًا، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾ » (الأنعام).

وَقَالَ مَالِكٌ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: « يَا مَعْشَرَ الظَّلَمَةِ لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ ذِكْرِي حَتَّى تَنْزِعُوا عَنِ الظُّلْمِ، فَإِنِّي رَوَأْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ أَذْكُرَ مَنْ ذَكَرَنِي، فَإِذَا ذَكَرُونِي ذَكَرْتُهُمْ بِرَحْمَتِي، وَإِذَا ذَكَرْتُمُونِي ذَكَرْتُكُمْ بِلَعْنَتِي » (يعنى: المنافقين)(١).

وقوله: [روأت] قال في مختار الصِّحاح: روّى في الأمر ترويةً، نظر فيه وتفكَّر.

۞ ۞ ۞

(١) صفة النفاق وذم المنافقين، رقم (٤٥)، ص (٨٨)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ١٣٢)، وحلية الأولياء (٢/ ٣٧٦).

(*) فائدة: وهذا الأثر مع صحة إسناده هو من الإسرائيليات، وقد قال النبي ﷺ: { لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا..﴾ } البقرة. أخرجه البخاري: ك: التفسير، ح (٤٤٨٥).

الخصلة السادسة عشرة
(موالاة ومظاهرة أعداء الله)

قال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ (النساء).

كان المنافقون في زمن النبوة المبارك يقول بعضهم لبعض - في مشهد يتكرَّر الآن تمامًا -: «لا ينمو أمر محمد فتولوا اليهود»، فكانوا يصانعون اليهود ليأمنوا جانبهم إذا ما كانت الدائرة على المسلمين، وما ذلك إلا خشية على أموالهم وأولادهم. ولذلك يقرعهم الله تعالى، ويوبخهم تسفيهًا لعقولهم، وأن ذلك ذلَّةٌ وليس عِزَّة: ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾.

• وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟

بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (المـائدة).

ولم أرَ آية في غاية الوضوح مثل هذه الآية الذي نبذها كثير من المنافقين اليوم وراء ظهورهم. كان الحديث عن موالاة اليهود والنصارى خطًّا أحمر، وجريمةً يُعاقب عليها قانون الغاب الذي يشرعونه لمصالحهم معهم.

وقد ورد في هذه الآيات النهي المطلق عن موالاة اليهود والنصارى، خورًا وجبنًا، ورغبة في النصر، وتقية، ولابد أن نفرِّق بين الموالاة التي حرَّمها الله ورسوله، وبين البرِّ والقسط فيهم، ولا تستغرب أو تتعجب إن عبر الله تعالى عن هذه الموالاة بالردَّة عن الإسلام. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ (محمد).

ارتدُّوا على أدبارهم بعد الإيمان والهدى، وذلك بقولهم لليهود: ﴿ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ﴾. يناصحونهم في الباطن

على الباطل، ويظهرون للمؤمنين إيمانهم ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ﴾ والله يعلم ما كتموه في قلوبهم من مصانعة لليهود، والحبِّ لهم، والتعاون معهم، والتقارب والاتحاد ضدَّ المؤمنين.

• وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ (المجادلة).

وهذا هو عَين النِّفاق، وتلك هي شرُّ الخِصال.

ولقد عبَّر القرآن عن هذه الموالاة بالإفساد في الأرض، وهو من أشهر آفات النفاق وصفات المنافقين

(الإفساد في الأرض)

• قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ (البقرة).

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ أي أدبر عنك وانصرف، أو ولاه الله بعض الأمر ﴿سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَ﴾ كما يفعل ولاة السوء من الظلم والتعسف وحبِّ الشر والتقتيل والإتلاف.

• وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ

مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾
(البقرة).

نوع آخر ولون جديد من معاني الإفساد في الأرض، وهو تقاربهم وموالاتهم لأعداء الله ﷻ وأعداء رسوله ﷺ.

• وقال تعالى: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ (محمد).

وقد جاءت هذه الآية تساءل المنافقين، مؤكِّدة أنهم إذا تولوا أمور الناس، أو كان لهم بعض ذلك، فهل يسعون إلا إلى الفساد في الأرض وتقطيع الأرحام؟.

فالمنافقون لديهم رغبة شديدة في الفساد والإفساد.

فالإفساد في الأرض شعبة من النِّفاق، وآفة من آفات المنافقين.

❁ ❁ ❁

الخصلة السابعة عشرة

(الانشغال بالدنيا عن الجهاد)

يُغري المنافقين حطامُ الدنيا وتكالُبُهم عليه... أغرتهم المنازل والقصور، والثمار والزروع، وما يملكون من أموال وأعمال وشركات.

حينما يدعو داعي الجهاد، تسارع النفوس المؤمنة رغبة في لقاء ربها، وثواب الشهادة، ومنزلة الشهداء مع النبيين والصديقين والصالحين، تاركة الأموال والأبناء في كنف الله ورعايته.

لكن أقوامًا تُلهيهم الفانيةُ عن الباقية.. فراش وثير، شهوات وملذات.. أطماع.. أصحاب عقائد ضعيفة تزين لهم البقاء المؤقت للتمتع بهذه اللذات الفانية والمتع الفانية التافهة... يُغريهم ذلك ليتقاعدوا مع الخوالف، وليركنوا بجوار النساء. أولئك عجزت عقولهم عن فهم الحقيقة العليا للحياة، وتضاءلت نفوسهم عن فهم السرِّ الحقيقي للسعادة والرفاهية.

قال تعالى: ﴿ **وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴿١٥٧﴾ ﴾ (آل عمران).

جاءت هذه الآية ردًّا على رأس النِّفاق ابنِ سَلول ومَن معه،

حينما تقاعدوا وتخاذلوا عن الجهاد والسير مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إلى القتال، ثم عابوا على الذين استشهدوا في سبيل الله، قائلين: ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾، فجاءت هذه الآية تبكِّتُهم على هذا الاعتقاد الفاسد، ثم تخاطب المؤمنين: ﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧﴾.

وقال تعالى: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨﴾ (الأحزاب).

وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٥﴾ (الفتح).

احتجاج غريب في نوعه، محض اختلاق. أليس للمسلمين جميعًا أهل وأموال؟! أليس معنى هذا ألا يكون هناك كفاح، وألا تكون هناك تضحية؟ ما أحقر هذه العقولَ!. أليس لأهل الكفر جيوش تقاتل من أجل الباطل، ونشر وفرض الهيمنة على العالم

بالقوة والبطش؟ أليسوا ينفقون المليارات في الصدِّ عن سبيل الله، والتبشير بديانتهم المحرفة والباطلة؟!

رحم الله من قال: « وأيم الله لو لم يكن في الأرض أبالسة وشياطين لكان المنافقون هم شياطينها وأبالستها! ».

فالتخلف عن الجهاد بغير عذر شرعي - كالضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون أصحاب الأعذار - صفة ملازمة للمنافقين. قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (التوبة).

• وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا

يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ
أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا
خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ
حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن
يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ
لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (التوبة).

تتحدَّث الآيات عن الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك من المنافقين.

ما تخلَّفوا إلا لأنهم لم يتوقَّعوا سفرًا قصيرًا ولا غنيمة قريبة، لكنهم استبعدوا الخروج إلى الشام لما فيه من مشقة وما يتوقعونه من شدة الأعداء. فبيَّن الله تعالى أن الذين يستأذنون في التخلف عن الجهاد هؤلاءِ أقوام لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، شكت قلوبهم في دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

• قال تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ

وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ
قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ
كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (التوبة).

في هذه الآيات بيان لصورة عجيبة لتخلُّفهم، حيث يوحي بعضهم إلى بعض بألا ينفروا في الحرِّ، لكنَّ الله تعالى يتوعَّدهم بجهنم التي هي أشدُّ حرًّا، ثم يبكِّتُهم ويهدِّدُهم بقوله: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾.

أي فليضحكوا قليلًا في الدنيا، ولكن سوف يكون بكاؤهم في الآخرة كثيرًا وطويلًا لما عملوه من أعمال سيئة.

۞ ۞ ۞

ويتفرَّع عن هذه الخصلة (الانشغال بالدنيا عن الجهاد)، آفة:

(عدم الصبر على الفتن والنكبات)

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ
بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ (الحج).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ

فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ
أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ١١ ﴾ (العنكبوت).

من صفات النِّفاق الجلية الواضحة: أنهم إذا أصابتهم السَّرَّاء والنعماء استبشروا وفرحوا... وإن وقع بهم الضرُّ تشاءموا وسخطوا وضجروا، لا طاقة لهم على تحمل الأذى في سبيل الله تعالى، أو الصبر على الفتن والشدائد على ما فيها من خير، ولكن ليس ذلك الخير للمنافق، بل للمؤمن فقط، الذي ينال معية الله تعالى ومحبته ورحمته ورفقة ملائكته، وتكفير سيئاته، ومغفرة ذنوبه، ويتعلم فن الدعاء والإخلاص فيه، ويفرح بعون الله، فيصبر ويرضى ويشكر، ويقينه أن الأيام دول، لكن المنافقين هكذا خلقهم وصفتهم، إن أعطوا من الدنيا رضوا، وإن مُنِعوا إذا هم يَسخطون.

۞ ۞ ۞

الخصلة الثامنة عشرة

(مفارقة الجماعة المؤمنة)

• قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾ (النور).

وقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾: « هُمُ الْمُنَافِقُونَ كَانَ يَثْقُلُ عَلَيْهِمُ الْحَدِيثُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَيَعْنِي بِالْحَدِيثِ الْخُطْبَةَ، فَيَلُوذُونَ ببعض أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ لَا يَصْلُحُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمِ الجمعة بعد ما يَأْخُذُ فِي الْخُطْبَةِ، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمُ الْخُرُوجَ أَشَارَ بِإِصْبَعِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْذَنُ لَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ الرَّجُلُ، لِأَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ بطلت جمعته. وقال السُّدِّيُّ: كَانُوا إِذَا كَانُوا مَعَهُ فِي جَمَاعَةٍ لَاذَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ حَتَّى يَتَغَيَّبُوا عَنْهُ فَلَا يَرَاهُمْ »(١).

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٨٢).

وقد قال الله تعالى قبل هذه الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ (النور).

عن عروة بن الزبير، ومحمد بن كعب القرظي قالا:

« ... لَمَّا أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ نَزَلُوا بِجَمْعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةَ بِئْرٌ بِالْمَدِينَةِ، قَائِدُهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَأَقْبَلَتْ غَطَفَانُ مَعَهَا عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ، حَتَّى نَزَلُوا بِنَقْمَيْنِ إِلَى جَانِبِ أُحُدٍ، فَلَمَّا نَزَلُوا بِذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَقَدْ كَانَ جَاءَ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرُ بِمَا أَجْمَعَتْ لَهُ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ، فَضَرَبَ الْخَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَعَمِلَ فِيهِ تَرْغِيبًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْأَجْرِ، وَعَمِلَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ فَدَأَبَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَأَبُوا، وَأَبْطَأَ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي عَمَلِهِمْ ذَلِكَ: رِجَالٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَجَعَلُوا يُوَرُّونَ بِالضَّعِيفِ مِنَ الْعَمَلِ، فَيَتَسَلَّلُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا إِذْنٍ، وَجَعَلَ

الرَّجُلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِذَا نَابَتِ النَّائِبَةُ مِنَ الْحَاجَةِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا يَذْكُرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي اللُّحُوقِ بِحَاجَتِهِ فَيَأْذَنُ لَهُ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ فِيهِ مِنْ عَمَلِهِ رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ وَاحْتِسَابًا لَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي أُولَئِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ (النور)(١).

يتخلَّف عن صلاة الجماعة، ولا يتم خشوعها إلا أمام الناس، فإذا خلا نقرها نقر الغراب، أو قد لا يصلي البتة.

۞ ۞ ۞

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٤٠٨).

الخصلة التاسعة عشرة

(قلة الذكر، والتكاسل عن أداء الصلاة، وعصيان الأوامر والرياء)

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ (النساء).

كان المنافقون يتكاسلون عن صلاتي العشاء والفجر خصوصًا، وكانوا يحضرون صلاة النهار، لا تعبُّدًا، ولكن رياءً وتمويهًا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَيْسَ صَلاَةٌ أَثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنَ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا}(١).

وقالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الآذان، ب: فضل العشاء في الجماعة، ح (٦٥٧).

الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ }(١).

وفى رواية أخرى لمسلم: **{ وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا }**(٢). يَعْنِي صَلَاةَ الْعِشَاءِ.

وقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: [كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الْإِنْسَانَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ أَسَأْنَا بِهِ الظن](٣).

وقَالَ ابنُ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مَنْ سُنَنَ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي

---

(١) أخرجه مسلم: ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: فضل صلاة الجماعة، ح (٦٥١).

(٢) نفس التخريج السابق.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم (٢٠٩٩)، وابن خزيمة في صحيحه، رقم (١٤٨٥). وصحَّحه الحاكم في المستدرك، ح (٧٦٤).

الصَّفِّ][(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « إن كثرة ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ أمان من النِّفاق، فإن المنافقين قليلو الذكر لله عَزَّ وَجَلَّ. قال الله عَزَّ وَجَلَّ في المنافقين: ﴿ **وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾. وقال كعب: « من أكثر ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ فقد برئ من النِّفاق »، ولهذا - والله أعلم - ختم الله سورة المنافقين بقوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾** ﴾ (المنافقون).

فإن في ذلك تحذيرًا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، فوقعوا في النِّفاق.

وسُئِل بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عن الخوارج: منافقون هم؟ قال: لا، المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلًا، فهذا من علامة النِّفاق: قلة ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، وكثرة ذكره أمان من النِّفاق، والله عَزَّ وَجَلَّ أكرم من أن يبتلي قلبًا ذاكرًا بالنِّفاق، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ »[(٢)].

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ**

---

(١) أخرجه مسلم: ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: صلاة الجماعة من سنن الهدى (٦٥٤).
(٢) الوابل الصيب من الكلام الطيب لابن القيم، ص (٨٠-٨١).

حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا }(١).

• وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾ (الماعون).

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وغيره: [هُمُ الْمُنَافِقُونَ يُرَآءُونَ النَّاسَ بِصَلاتِهِمْ إِذَا حَضَرُوا، وَيَتْرُكُونَهَا إِذَا غَابُوا، وَيَمْنَعُونَهُمُ الْعَارِيَةَ بُغْضًا لَهُمْ، وَهِيَ الْمَاعُونُ](٢).

وقال عطاء بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الحمد لله الَّذِي قَالَ: ﴿ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾، وَلَمْ يَقُلْ فِي صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ »(٣).

وقوله: ﴿ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ يحتمل أنهم يؤخِّرونها إلى آخر وقتها، أو يجمعون بين الظهر والعصر بغير إذن، أو بين المغرب والعشاء بغير عذر، أو يتكاسلون عن صلاة العصر حتى قرب غياب الشمس، أو ساهون عن الخشوع فيها والتدبُّر لمعانيها.

---

(١) أخرجه مسلم: ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: استحباب التبكير بالعصر، ح (٦٢٢).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (١٤٤٩٥).
(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٦٨).

قال ابن كثير في تفسيره: « وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى الْقِيَامِ إِلَيْهَا مُرَاءَاةَ النَّاسِ لا ابتغاء وجه الله، فهو كما إذا لم يصلِّ بالكلية »(١).

أما (عصيان الأوامر):

فهم يَعصون أوامر الله تعالى، وأوامر رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يتبعون أقوال أهل العلم والتُّقَى.

لذلك فالمنافق موصوف: بعبادة الهوى، وترك السُّنَّة، بل قد يبغضها، فهو لا يهوَى شيئًا إلا ركبه. اتخذ إلهه هواه، كما أنه يبغض أصحاب النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعَنْ قَتَادَةَ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (الفرقان). قَالَ: « إِذَا هَوِيَ شَيْئًا رَكِبَهُ ». وَقالَ الْحَسَنُ فِي الْآيَةِ: « هُوَ الْمُنَافِقُ لَا يَهْوَى شَيْئًا إِلَّا رَكِبَهُ »(٢).

وعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: « صِفَةُ الْمُنَافِقِ: تَحِيَّتُهُ لَعْنُهُ، وَطَعَامُهُ سُحْتٌ، وَغَنِيمَتُهُ غُلُولٌ، صَخَبٌ بِالنَّهَارِ، خَشَبٌ بِاللَّيْلِ »(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٦٨).

(٢) قول قتادة: أخرجه الفريابي في صفة النفاق، رقم (٤٤)، ص (٨٨).
وقول الحسن: أخرجه الذهبي في السير (٤/ ٥٧٠،٥٧١) وابن الجوزي في ذم الهوى (ص:١٧). صفة النفاق وذم المنافقين، رقم (٤٣)، وص (٨٧).

(٣) المصدر السابق، رقم (٥٨)، ص (٩٩).

وأما: (اتباع الهوى):

فهو من أخطر الآفات، وأكثرِها ضررًا. فليس أمام العبد إلا: اتباع الوحي، أو اتباع الهوى، ولا ثالث لهما، وهما نقيضان لا يجتمعان. قال تعالى في شأن المنافقين: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾** ﴾ (محمد).

تأمل قوله تعالى: ﴿**طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ**﴾، فلا يدخلها الهدى، ثم أتبعها ﴿**وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ**﴾. إنه العزوف عن أوامر الله تعالى، وعدم الرضوخ للحق، والانقياد الأعمى للشيطان مصدر الهوى لديهم، والتقليد الأعمى، والتشبه بالكفار، والإعجاب بهم.

فالمنافق موصوف: بعبادة الهوى، وترك السُّنَّة، بل قد يبغضها، فهو لا يهوَى شيئًا إلا ركبه. اتخذ إلهه هواه.

قال الحسن: « المنافق لا يهوى شيئًا إلا ركبه، فهو يعبد هواه ».

ولقد حذر الله تعالى الرسل والأنبياء من اتباع الهوى أو اتباع أهواء الذين ظلموا: ﴿**وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ**﴾(ص: ٢٦).

وبدلًا من أن يكون الله تعالى هو المعبود وحده، وهو مصدر

التلقي للنفس المؤمنة للاعتقاد، والأوامر والمنهيات، والعبادات، يستبدل به المنافق اتباع الهوى، وما تمليه عليه رغبات نفسه وشهواته وملذاته، حتى يصير إلهه هواه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ (الجاثية ٢٣).

وأما (الرياء):

فهو شعبة من شعب النفاق، وصفة ملازمة للمنافقين، وفرق واضح بين المؤمن الذي يعبد الله ﷻ إخلاصًا وتجرُّدًا من شوائب الرياء والعجب والشرك، وبين المنافق الذي يغلب الرياء والسمعة على عبادته .

فالمنافقون لا يتعبدون إلا رياء وسمعة، لا عن تُقًى وَوَرَعٍ، فلا يصلون، ولا ينفقون إلا رئاء الناس، ولا يقاتلون رغبة في التضحية والنصر، وإنما يغلب عليهم الجبن والرياء.

والرياء: فرق واضح وجليٌّ بين أعمال المؤمنين وأعمال المنافقين.

• قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ (النساء)، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا

فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ (النساء).

يراءون بالصلاة، إن فاتتهم لم يأسَوا عليها، يُرَى البدن خاشعًا، والقلب ليس بخاشع.

ويمنعون زكاة أموالهم، فتكون أموالهم مما يُكوَى به جباههم وظهورهم وجنوبهم يوم القيامة.

إذا زُكِّي أحدهم بما ليس فيه ارتاح قلبه وقبله، عكس حال المؤمن إذا زُكِّى بما ليس فيه، حيث يقول: « اللهم اغفر لي مالا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، فإنك تعلم وهم لا يعلمون ».

• قال تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ (آل عمران).

وعَنْ مُعَاوِيَةَ الْهُذَلِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [إِنَّ الْمُنَافِقَ لِيُصَلِّي فَيُكَذِّبُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَصُومُ فَيُكَذِّبُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَتَصَدَّقُ فَيُكَذِّبُهُ اللهُ، وَيُجَاهِدُ فَيُكَذِّبُهُ الله، وَيُقَاتِلُ فَيُقْتَلُ فَيُجْعَلُ فِي النَّارِ][(١)].

❁ ❁ ❁

---

(١) صفة النِّفاق وذم المنافقين، رقم (٤٢)، ص (٨٦).

الخصلة العشرون

(القدح في أعراض المسلمين، وإيذاؤهم، وتتبع عوراتهم، وتعييرهم، واللمز والهمز، والبذاء)

فهذه سِتٌّ آفات من آفات النِّفاق، قريبة المعاني والمباني، وإليك بيانها:

(١) القدح في أعراض المسلمين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ (النور).

عشر آيات نزلت في بيان حادثة الإفك، وهو موقف مما يتخذه المنافقون من مواقف: يتحدثون بالإفك، ثم يُرجِفون به ويُشيعونه بين المسلمين.

وقصة الإفك وردت في الصحيحين وغيرهما، وهي من القصص التي تدمع فيها العين، ويبكي فيها الفؤاد، حيث تحكي الدور الذي

لعبه المنافقون في هذه الحادثة، ولم يكن لها ضحية إلا أم المؤمنين الطاهرة العفيفة (عائشة) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصحابيٌّ بدريٌّ جليل هو (صَفْوانُ بن المُعطِّل) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وشارك في هذا الإثم بعض المسلمين، منهم: مِسطح بن أثاثة ابن خالة أبي بكر الصديق، وحمنة بنت جحش، وحسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فشل المنافقون في محاربة الإسلام علانية، وفشلت محاربتهم للمسلمين سرًّا، فلجأ المنافقون إلى أسلحة دنيئة، وحِيَلٍ خسيسة، وأغراضٍ دنيئة، بإثارة الشكوك والرِّيَبِ في بيت النبوة، وآل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن الله عَزَّ وَجَلَّ جعل في ذلك الخير، كما قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

(٢) إيذاء المؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ (الأحزاب).

وتتجلَّى مظاهر هذا الإيذاء في السُّخْرية منهم. قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ (التوبة).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وهذا أَيْضًا مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْ عَيْبِهِمْ وَلَمْزِهِمْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، حَتَّى وَلَا الْمُتَصَدِّقُونَ يَسْلَمُونَ مِنْهُمْ، إِنْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِمَالٍ جَزِيلٍ قَالُوا هَذَا مِرَاءٌ، وَإِنْ جَاءَ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ قَالُوا: إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عن صدقة هذا »(١).

قال الله تعالى لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ (الأحزاب).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (الأحزاب).

يتضح لنا من هذه الآيات أن إيذاء المنافقين للمؤمنين إنما يكون بالسخرية أو الاستهزاء منهم، أو افتراء الكذب عليهم، أو القدح في حقهم، وتظهر صورته جليَّة في سخريتهم من الحجاب.

• قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ١٦٣).

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ (الأحزاب).

وسبحان الله! فما عادَى حجابَ المرأة المسلمة في كل زمان وحتى في أيامنا هذه إلا واحد من هؤلاءِ الثلاثة الذين لعنهم الله تعالى، وهم: المنافقون، والذين في قلوبهم مرض، والمرجفون.

(٣) تتبع عورات المسلمين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ (النور).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ (الأحزاب).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المِنْبَرَ، فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: { **يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ،**

وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ }، وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى البَيْتِ أَوْ إِلَى الكَعْبَةِ فَقَالَ: [مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللهِ مِنْكِ](١).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: { إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الِاسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ }(٢).

(٤) تعيير المسلمين:

كما في حديث ابن عمر السابق، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { .. وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، ...}. وهذه صفة لا تتفق مع الرجولة، ولا مع الكرامة. يلجأ إليها من ضَعُفَ الإيمان في قلبه، وامتلأ حقدًا وحسدًا وغلًّا. نسأل الله تعالى السلامة من الأخلاق السيئة والأفعال المذمومة.

(٥) اللَّمْزُ والهَمْزُ:

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ

---

(١) أخرجه الترمذي: ك: البر والصلة، ب: ما جاء في تعظيم المؤمن، ح (٢٠٣٢)، وقال: حسن غريب، وابن حبان، ح (٥٧٦٣).

(٢) أخرجه أحمد، ح (١٦٥١)، وأبو داود: ك: الأدب، ب: في الغيبة، ح (٤٨٧٦)، وصحّحه الألباني.

يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ (التوبة).

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ (التوبة).

وقال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ (الهمزة).

(٦) البذاء:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { الحَيَاءُ وَالعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الإِيمَانِ، وَالبَذَاءُ وَالبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ }(١).

والبذاء: هو (الفحش) الذي لا يحبه الله، ولا يحبه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يحبه أهل الإيمان.

عَنْ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ }(٢).

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٢٢٣١٢)، والترمذي: ك: البر و الصلة، ب: ما جاء في العيِّ، ح (٢٠٢٧)، وقال: حسن غريب، والحاكم، ح (١٧)، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصحّحه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي: ك: البر والصلة، ب: ما جاء في اللعنة، ح (١٩٧٧)، وقال: حسن غريب، وابن حبان، ح (١٩٢)، والحاكم، ح (٢٩)، وقال: حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، ثُمَّ لَمْ يُخَرِّجَاهُ.

فالبذاء من اللؤم، حتى ولو كان للأموات.

والبيان: هو كشف ما لا يجوز كشفه، مثل: صفات الله تعالى، فإن إلقاء ذلك مجملًا إلى أسماع العوام أولى من المبالغة في بيانه، إذ قد تثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس (وهذه غاية المنافقين). فإذا أجملت اطمأنَّت القلوب ولم تضطرب.

وقد يكون البيان مقرونًا بالبذاء، ويشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الإنسان من بيانه، فإنه الأولى في مثله الإغماض والتغافل دون الكشف والبيان.

وقيل: إن البذاء يعني أيضا عدم الغيرة.

عَنْ أَبِي مَرْحومٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **الْغَيْرَةُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ النِّفَاقِ** }. قَالَ: قُلْتُ لزيدٍ: وَمَا الْبَذَاءُ؟ قَالَ: « الَّذِي لَا يَغَارُ »(١).

وقد رُوِيَ بلفظ {**المذاء**}، بدلًا من {**البذاء**}.

قَالَ الْحَلِيمِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الْمِذَاءُ: أَنْ يَجْمَعَ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ ثُمَّ

---

(١) تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر، رقم (٤٩٠)، والسنن الكبرى للبيهقي (٢١٠٢٣).

يُخَلِّيهِمْ يُمَاذِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأُخِذَ مِنَ الْمَذْيِ، وَقِيلَ: هُوَ إِرْسَالُ الرِّجَالِ مَعَ النِّسَاءِ مِنْ قَوْلِهِمْ: مَذَيْتُ فَرَسًا إِذَا أَرْسَلْتَهَا تَرْعَى» (١).

وقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّام: « الْمَذَاءُ أُخِذَ مِنَ الْمَذْيِ ، يَعْنِي أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، ثُمَّ يُخَلِّيهِمْ يُمَاذِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِذَاءً »(٢).

والمَذي: ماء لزج يخرج عند المداعبة والتفكير في الشهوة. وهو من النجاسة التي يجب فيها غسل العضو منه. وليس فيه الغسل كالمنيِّ.

وهنا بيان لصفتين من صفات المنافقين، وآفتين من آفات النِّفاق هما: عدم الغيرة، والبذاء أو [المذاء].

وكلاهما عمل دنيء خسيس، لا يرضاه مؤمن طرق الإيمان قلبه، فالغيرة على الأعراض من الكرامة، وصفات الرجولة، لأن الشرف هو أثمن ما يملكه الإنسان في حياته، وهذه جبلة وفطرة في الناس جميعًا. فالرجل المتمسِّك برجولته تجده مُصِرًّا على المحافظة على شرفه وعرضه.

لكن هناك طائفة من الناس لا ترضى لنفسها إلا دنيء العمل

(١) انظر: شعب الإيمان، للبيهقي، (١٣/ ٢٦٠).
(٢) انظر: السنن الكبرى، للبيهقي، ح (٢١٠٢٤).

وخسيس الخصال، وما يهدر الكرامة ويعم نفوسهم بالخزي والعار.

فلا يبالي إن خرجت زوجه أو ابنته مع السائق بمفردها، ولا يبالى إن سافرت بدون محرم لها، ولا يغار من اختلاطها بالرجال ومزاحمتهم في المواصلات والأعمال، أو عودتها في ساعات الليل المتأخرة، ولا تجده محافظًا حتى في بيته، فلا حذَرَ عنده من الاختلاط. تلكم هي طائفة المنافقين.

أما أهل الإيمان فيأبى عليهم إيمانهم ذلك، ولا تسمَح لهم كرامتهم بمثل هذا. فالمحافظة على الشرف، والتمسُّك به، والغَيْرَةُ على النساء من صلب ديانتهم، ومنهج حياتهم. فالمرأة عندهم: عِرْضٌ يُصانُ، ويُرحَمُ، ويُكرَمُ. [**فما أكرمَ النساءَ إلا كريمٌ، وما أهانَهُنَّ إلا لَئيمٌ**].

۞ ۞ ۞

الخصلة الحادية والعشرون

(الغيبة والنميمة وتقطيع الأرحام)

وهذه الآفة تتبع آفة إيذاء المؤمنين. ولكننا أفردناها لبيان مدى خطورتها في تقطيع أواصر الأسرة الواحدة.

والغِيبة كما وردت في الحديث. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟** } قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: { **ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ** } قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: { **إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ** }(١).

ولقد نهى الله تعالى المؤمنين عنها في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾**﴾ (الحجرات).

وقال تعالى: ﴿**لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾**﴾ (التوبة).

---

(١) أخرجه مسلم: ك: البر والصلة والآداب، ب: تحريم الغيبة، ح (٢٥٨٩).

قوله تعالى ﴿ وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ ﴾، أي بالنميمة، بغية إحداث الفتن وانقسام الصفوف، والوقيعة بين المؤمنين.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ** } ثُمَّ قَالَ: { **بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ** }(١).

وقال تعالى: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ** ﴿٢٢﴾ ﴾ (محمد). والخطاب مُوَجَّهٌ في هذه الآية للمنافقين.

﴿ **إِن تَوَلَّيْتُمْ** ﴾، قيل معناه: النكوث والتخلف عن الجهاد، وقيل: تولي أمور الناس، وتزعمهم.

فهذه الآية تدلنا على أن من أخلاق المنافقين: تقطيع الأرحام.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **ثَلاَثَةٌ لاَ**

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الوضوء، ب: من الكبائر ألا يستتر من بوله، ح (٢١٦)، ومسلم: ك: الوضوء، ب: الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، ح (٢٩٢).

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَقَاطِعُ رَحِمٍ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ}(١).

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: {لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ }(٢). قال سفيان: يعنى قاطع رحم.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَلَا يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِم }(٣).

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه أحمد، ح (١٩٥٦٩)، وابن حبان، ح (٥٣٤٦)، والحاكم، ح (٧٢٣٤)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
(٢) أخرجه البخاري: ك: الأدب، ب: إثم القاطع، ح (٥٩٨٤)، ومسلم: ك: البر والصلة والآداب، ب: صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا، ح (٢٥٥٦).
(٣) أخرجه أحمد، ح (١٠٢٧٢)، وإسناده حسن.

الخصلة الثانية والعشرون

(الطمع في الدنيا، والزهد في الآخرة)

مُتْرَفون، يعبدون الدنيا: لها يغضبون، وعليها يقاتلون، وإياها يطلبون، مشغوفون بالبهرج والزخرف، يهتمون بمظهرهم، بينما جوهرهم خراب، يتكالبُون على المَغْنَمِ، ويتَّقون المَغْرَمَ.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (النساء).

وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (التوبة).

طمع في الدنيا، وحرص عليها، وبخل شديد، وحرص على ألا يضحوا بأي شيء في سبيل الإسلام والمسلمين.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ (التوبة).

يعتبرون ما ينفقون في سبيل الله مَغْرَمًا، فهم لا يؤدُّونه عن

عقيدة، ولكن رياء وتقية. وهم يَقِلُّون عند الفزع، ولكن ما أكثرهم عند الطمع!.

وقال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ (الفتح).

والطمع في الدنيا والزهد في الآخرة يؤديان إلى:

(الأنانية)

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (التوبة).

أنانية غريبة، يصفون الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعدل ويرضون عنه إذا أعطاهم من الصدقات، وإذا لم يكونوا مستحقِّين وأعطى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كان في حاجة إليها عابوا عليه ذلك، وزعموا أنه غير عادل، منتهى الأنانية التي لا يُقِرُّها خُلُق ولا دين.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، اعْدِلْ، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ}**. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ»، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ...}** (١).

فنزلت: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (التوبة).

وفي رواية: **{ إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا، قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ }** (٢).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ب: علامات النبوة في الإسلام، ح (٣٦١٠)، ومسلم: ك: الزكاة، ب: ذكر الخوارج وصفاتهم، ح (١٠٦٤).

(٢) أخرجه البخاري: ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾، ح (٧٤٣٢)، ومسلم: ك: الزكاة، ب: ذكر الخوارج وصفاتهم، ح (١٠٦٤).

إنهم يحبون أنفسهم، ويغضبون من أجلها، ويرغبون في الاستئثار بالنفع دون غيرهم.

إنها آفة من آفات النِّفاق، يتصف بها المنافقون، ومن اتصف بها من غيرهم فقد اتصف بآفة من آفات النِّفاق، وعليه أن يتخلص منها، ويطهر قلبه من إثمها وشرورها.

۞ ۞ ۞

الخصلة الثالثة والعشرون

(الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف)

قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (التوبة).

صنف خبيث من الناس يتقن، بل ويتفنَّن في تلك الأساليب الشيطانية، لصرف الناس عن الخير، وحضِّهم على فعل المنكر، ذلك نهج حياتهم، وأعجب من ذلك، أنهم زيَّنوا لكثير من المسلمين ذلك، فوقع في هذا الإثم من أصابتهم الغفلة، واستولى عليهم البَلَهُ، وجَنَت عليهم السَّذاجة.

إنهم لا يتخيلون أي معروف إلا ونهوا عنه، وحاولوا الحيلولة

بين فعله وبين المؤمنين.

راقَبُوا المساجد، وشدَّدوا الحصار على ما يُقال فيها، بينما لم يستطيعوا - عفوًا - لم يفكِّروا فيما يدور في البِيَعِ والأديرة والكنائس، ولا يجرءون على ذلك.

منعوا حكم الله تعالى، وشوَّهوا صورته، وحالوا بين الناس والوصول إليه. حاربوا الحجاب، وباركوا التبرج والسفور. حاربوا الفضيلة، وشجَّعوا اللهو والرقص والاختلاط. دافعوا عن الرِّبا، وحاربوا كل اقتصاد يقوم بنيانه على تقوى من الله تعالى...

إن الشياطين لم يكتفوا بوقوعهم في الإثم، وانغماسهم في الشرِّ والشهوات، بل دَعَوْا وتمنَّوْا أن يقع المسلمون في الإثم مثلهم، ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ (النساء:٨٩).

وهي صفة تسقط عنهم خيرية الأمم، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (آل عمران:١١٠)، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة ملازمة لأهل الإيمان من خير أمة أخرجت للناس، فهم على النقيض تمامًا، ويظهر ذلك جليًّا في محاربتهم وسخريتهم من كل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويريدونها حرية وإباحية.

الخصلة الرابعة والعشرون

(الريبة والشك في الدين، والافتتان بالمعاصي واللذات)

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ (الحديد).

قوله: ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾. الريبة والشك في الدين دأب المنافقين، فحالت بينهم وبين رحمة الله تعالى يوم القيامة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « المَرَضُ نَوْعَانِ: مَرَضُ الْقُلُوبِ، وَمَرَضُ الْأَبْدَانِ، وَهُمَا مَذْكُورَانِ فِي الْقُرْآنِ.

وَمَرَضُ الْقُلُوبِ: نَوْعَانِ: مَرَضُ شُبْهَةٍ وَشَكٍّ، وَمَرَضُ شَهْوَةٍ وَغَيٍّ، وَكِلَاهُمَا فِي الْقُرْآنِ. قَالَ تَعَالَى فِي مَرَضِ الشُّبْهَةِ: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا

مَثَلًا ﴾ (المدثر: ٣١).

وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ مَنْ دُعِيَ إِلَى تَحْكِيمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَأَبَى وَأَعْرَضَ: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (النور)، فهذا مرضُ الشُّبُهات والشُّكوك.

وأما مرضُ الشهَّوات، فقال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الأحزاب). فَهَذَا مَرَضُ شَهْوَةِ الزِّنَى، وَاللهُ أَعْلَمُ»(١).

وفى الآيتين المذكورتين من سورة الحديد (١٣-١٤) يتساءل المنافقون عما وضعوا فيه من عذاب، بينما يرون المؤمنين في رغد ونعيم. يسألونهم في دهشة: ألم نكن معكم؟! فيكون الجواب: بلى.. ولكنكم فتنتم أنفسكم.

أي: فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات. وقال بعض المفسرين: أي فتنتم أنفسكم بنفاقكم.

---

(١) الطب النبوي، لابن القيم، ص (٥- ٦).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ
إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى
قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ
﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا
يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ
بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ (التوبة).

كان المنافقون إذا أنزلت سورة، يَسأل بعضهم بعضًا (أيكم زادته هذه إيمانًا)؟ ولقد تولى الله تعالى الرد عليهم بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ (ضعف ونفاق) فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾. رجسًا: شكًّا وريبة.

۞ ۞ ۞

الخصلة الخامسة والعشرون

(الغُرور بالأماني)

قال تعالى: ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الحديد).

وهذا مرضٌ عُضالٌ، وداءٌ مُسْتَشْرٍ في الأمة: الغرور بالأماني، وظاهرة الإرجاء في العالم الإسلامي.

والغرور بالأماني، كأن يزعم المرء أنه سيغفر له، وأنه ممن يقول (لا إله إلا الله) فيصرفه ذلك عن الإنابة والتوبة والاستقامة.

أو يتوهَّم أن عمره سوف يطول؛ فيرجئ التوبة ويسوِّف فيها.

أو تلهيه دنياه عن طاعة الله تعالى، ويصرفه ماله وجاهه عن جادة الصواب، ويحسب أن ذلك سوف يكون له بمنجاة من العذاب، وأن الله تعالى لن يسوِّيَه بالفقراء وأعداء الدين الذين لا يتورَّعون في الصدِّ عن سبيل الله، ومحاربة الصالحين، وموالاة أعداء الله ورسوله، وهم في نفس الوقت يَكيلون التهمة تلو التهمة، والبدعة تِلْوَ البدعة لعلماء الأمة، والدُّعاة والواعظين،

وقد يرمون بعضهم بالخوارج، ويشجِّعون ظلمة الحكام على معاداتهم ومحاربتهم.

نصَّبوا أنفسهم حُكَّامًا وقضاة على العباد، وكثير منهم ما فعل ذلك إلا نفاقًا وحسدًا وطمعًا، وإرضاء لطائفة من أصحاب المصالح، وطلبة العلم لديهم.

تلك عقليات المُترَفين، وذلك تفكير المخدوعين.. وفكر أهل الإرجاء في القرن العشرين.

ويروى عَنْ الْحَسَن أَنَّهُ قَالَ: « لَيْسَ الْإِيمَان بِالتَّمَنِّي وَلَا بِالتَّحَلِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْب وَصَدَّقَهُ الْعَمَل »(١).

۞ ۞ ۞

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعظيم آبادي (١٢/ ٢٩٤)، وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين، (١/ ٥٠٩).

الخصلة السادسة والعشرون

(الإكراه على البغاء)

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (٣٣) ﴾ (النور).

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: [كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ يَقُولُ لِجَارِيَةٍ لَهُ: اذْهَبِي فَابْغِينَا شَيْئًا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ** ... ﴾][١]. أي يُكرِهُها على الزنا لتأتي له بالمال.

وفي رواية عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: [كَانَتْ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ جَارِيَةٌ تَزْنِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا حُرِّمَ الزِّنَا، قَالَ: أَلَا تَزْنِينَ؟ قَالَتْ: لَا، وَاللهِ لَا أَزْنِي أَبَدًا، فَنَزَلَتْ: ﴿ **وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ** ... ﴾][٢].

وهذا عمل تأبى الإقدامَ عليه أصحابُ النفوس الكريمة، وتعافُهُ القلوب المؤمنة.

---

(١) أخرجه مسلم: ك التفسير، ب: في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ** .. ﴾، وهذا عمل تأبى الإقدامَ عليه أصحابُ النفوس الكريمة، وتعافُهُ القلوب المؤمنة، ح (٣٠٢٩).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، رقم (١١٧٤٧).

أما المنافقون فَشأنٌ آخر. فهم يَسْتَمْرِئُون الفجور والخنا، فإن كان الزواج الحلال والعفاف من شُعَب الإيمان، فإن ما يُقابله من الدعارة والزنا، وحب إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا من شُعَبِ النِّفاق والضلال.

إن سجلَّ العار والرذيلة والخزي والفضيحة للمنافقين وأمثالهم مليء عبر التاريخ، وحتى يومنا هذا.

انظر إلى حفلاتهم ومناسباتهم، وما فيها من العُري والرقص والمجون، مما تشمئز منه النفوس المؤمنة، وتنفِر منه الأرواح السَّامية.

والإكراه على البغاء عمل بشع لا تقدم عليه إلا أصحاب النفوس الوحشية. وهل حوت الأرض وحشية بقدر ما حوته قلوب المنافقين؟!.

۞ ۞ ۞

الخصلة السابعة والعشرون

(لا يجاهدون لرفع راية الإسلام، ولا تنفعهم عبادتهم ولا قراءتهم للقرآن)

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: «كَانَ فِينَا رَجُلٌ أَتَى لَا يُدْرَى مِمَّنْ هُوَ، يُقَالُ لَهُ: قُزْمَانُ، وَكَانَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ، إذَا ذُكِرَ لَهُ: **{إنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ}**، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ قَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا، فَقَتَلَ وَحْدَهُ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً مِنْ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ ذَا بَأْسٍ، فَأَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ، فَاحْتُمِلَ إلَى دَارِ بَنِي ظَفَرٍ، قَالَ: فَجَعَلَ رِجَالٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ لَهُ: وَاَللهِ لَقَدْ أَبْلَيْتَ الْيَوْمَ يَا قُزْمَانُ، فأبشر، قَالَ: «بِمَاذَا أبشر؟ فو الله إنْ قَاتَلْتُ إلَّا عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قَاتَلْتُ». قَالَ: فَلَمَّا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ جِرَاحَتُهُ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، فَقَتَلَ بِهِ نَفْسَهُ»(١).

وقد كان قُزمان هذا من المنافقين.

إن المنافق قد يكون شجاعًا. ولكنها شجاعة ليس لله تعالى فيها نصيب، ولا تمحو ما اتصف به من النِّفاق.

❁ ❁ ❁

(١) سيرة ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا (٢/ ٨٨).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اعْدِلْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ}**. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ»، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ...}** (١).

وفي رواية: **{ إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا، قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ }**(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ب: علامات النبوة في الإسلام، ح (٣٦١٠)، ومسلم: ك: الزكاة، ب: ذكر الخوارج وصفاتهم، ح (١٠٦٤).

(٢) أخرجه البخاري: ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، ح (٧٤٣٢)، ومسلم: ك: الزكاة، ب: ذكر الخوارج وصفاتهم، ح (١٠٦٤).

وفى هذا الحديث دليل على أنهم يعبدون الله ﷻ فيما يبدو للناس عبادة قوية، ولكن نفوسهم انطوت على الشرِّ، وامتلأت قلوبهم كيدًا وفتنة. وكم من مُصَلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه.

❁ ❁ ❁

الخصلة الثامنة والعشرون

(الجهل وقلة الفِقه، وسوء القصد)

وقد صفهم الله تعالى بالجهل وقلة الفقه. قال تعالى: ﴿**فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣**﴾ (المنافقون)، وقال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٣**﴾ (الحشر).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ، حُسْنُ سَمْتٍ، وَلَا فِقْهٌ فِي الدِّينِ}**(١).

فالمنافق سيِّئ القصد، جاهل في الدين، والفقه في الدين وحسن النية والقصد لا يجتمعان في منافق، وكم من منافق عليم اللسان سخَّر علمه وقلمه ولسانه لسوء قصده وخبث طويته،

---

(١) أخرجه الترمذي: ك: العلم، ب: فضل الفقه على العبادة، ح (٣٦٨٤)، وقال: حديث غريب، وصحَّحه الألباني.

لمحاربة دين الله، وتحليل ما حرّم الله، وتحريم ما أحل الله. لذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ }(١).

۞ ۞ ۞

الخصلة التاسعة والعشرون

(ثقافة العداء مع شعائر الإسلام وسننه)

قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: « صِفَةُ الْمُنَافِقِ: تَحِيَّتُهُ لَعْنُهُ، وَطَعَامُهُ سُحْتٌ، وَغَنِيمَتُهُ غُلُولٌ، صَخَبٌ بِالنَّهَارِ، خَشَبٌ بِاللَّيْلِ »(٢).

وقد سبق الحديث عن مسجد الضرار، وكراهيتهم للحجاب، واللحية، والجهاد في سبيل الله.

أضف إلى ذلك: كراهيتهم للغة العربية، والتاريخ الهجري، والاقتصاد الإسلامي الذي لا يعتمد على الربا والاحتكار، واتهامهم المسلمين الصالحين بالتشدد والإرهاب، واعتبار المفرطين في دين الله عدولًا ووسطيين، دينهم المصلحة، معروفون بلحن القول.

۞ ۞ ۞

---

(١) سبق تخريجه، ص (٤١).

(٢) صفة النفاق وذم المنافقين، رقم (٥٨)، ص (٩٩).

الخصلة الثلاثون

التبرج والخلع في النساء

أولا: التبرُّج:

عَنْ أَبِي أُذَيْنَةَ الصَّدَفِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَدُودُ الْوَلُودُ الْمُوَاتِيَةُ الْمُوَاسِيَةُ، إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ، وَشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ الْمُتَخَيِّلَاتُ وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ، إِلَّا مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ** }[1].

فالتبرج صفة من صفات الجاهلية الأولى.

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ** ﴾ (الأحزاب: ٣٣).

والتبرُّج: هو إظهار العورة والزينة أمام الرجال الأجانب (غير المحارم)، وهو التفنن في إبداء الزينة، بارتداء الضيق من الملابس، أو الشفاف منها، أو ما يلفت الأنظار، أو لباس الشهرة. ونحن نشاهد الآن في هذه الأيام أسوأ وأقبح صور التبرج والسفور، وكيف صَدَّق إبليس ظنَّه على كثير من المسلمات اليوم بما يُسَمَّى: حِجاب التبرُّج، أو تبرُّج الحجاب. فالتي ترتدي مثل

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ح (١٣٤٧٨)، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح (١٨٤٩).

هذا الزيِّ رياء الناس، ولنيل ثنائهم وإعجابهم، والحرص على إرضائهم، ضاربة برضا الخالق الرحمن القهار عرض الحائط لَهُوَ دربٌ من دروب النِّفاق. وشتَّانَ بين زيِّ المرأة المسلمة من جلباب وخمار، وزيِّ المسلمات اليوم، ولكنها السُّنن ليميز الله تعالى الخبيث من الطيب.

ثانيًا: الخُلع:

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **الْمُخْتَلِعَاتُ وَالْمُنْتَزِعَاتُ هُنَّ الْمُنَافِقَاتُ** }(١).

والخلع: هو إزالة ملك النكاح بعوض أو بمقابل مال.

وهو نوعان:

الأول: الخلع الجائز: وذلك في حالة وجود سبب شرعي يقتضيه، كأن يكون الرجل مَعيبًا في خَلْقِهِ أو خُلُقِهِ، أو يُؤذي الزوجة، وتخاف المرأة ألا تقيم معه حدود الله، فيما يجب عليها من حسن الصحبة وجميل المعاشرة.

والخلع المنوع: هو الذي ليس له سبب شرعي يقتضيه، **ووصفه بالنِّفاق:** لأنه تنكُّرٌ للمعروف والعشرة، والوفاء بالعهد بين الزوجة وزوجها.

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٩٣٥٨)، والترمذي: ك: الطلاق، ب: ما جاء في المختلعات، ح (١١٨٦)، والنسائي: ك: الطلاق، ب: ما جاء في الخلع، ح (٣٤٦١)، وصحَّحه الألباني.

وأختم هذا الباب (آفات النفاق وخصال المنافقين) بقول د. محمد موسى آل نصر:

« عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمانِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: [إِنَّ الْمُنَافِقِينَ اليَوْمَ شَرٌّ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانُوا يَوْمَئِذٍ يُسِرُّونَ، وَاليَوْمَ يَجْهَرُونَ](١).

هذا كلام خبير عالم بأحوال المنافقين، كيف لا وحذيفة (راوي الحديث) هو أمين سرِّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعنده أودع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسماء المنافقين. فإذا كان مَن أدركهم من المنافقين بعد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرًّا ممن أخبر بهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فماذا يقول رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لو أدرك منافقي زماننا؟!

فإذا كان النِّفاق سِرِّيًّا في الناس زمن أصحاب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أفلا يستفحل خطره ويستشري ضرره زمن الفتنة، والطواغيت، وغربة الدين؟!

وكلما ازدادت غربة الدين وقلَّ أنصاره كثر النِّفاق - والعياذ بالله -

(١) أخرجه البخاري: ك: الفتن، ب: إذا قال عند قوم شيئا ثم خرج فقال بخلافه، ح (٧١١٣).

ولكن النِّفاق اليوم اتخذ أشكالًا منظمة، على شكل مؤسسات ونوادٍ وأحزاب وحركات و... غيَّرت من أسمائها: لتضليل الناس.

وما الليبرالية والعلمانية والحداثة، والروتاري والليونز، والمؤسسات التي تدعى الإنسانية والرحمة على الإنسان والحيوان إلا امتداد لسرطان النِّفاق الذي تدعمه دول تُدعى عظمى بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، وإنما هي مؤسسات يهودية تريد سلخ الأمة من دينها وهُويتها، لتعمل على خدمة يهود والتمكين لهم. فاللهم سَلِّمْ - سَلِّمْ.

فالنِّفاق قد عمَّ وطمَّ، وشمل السهل والوادي، وقلَّما يخلو منه مجتمع أو نادٍ، لذلك وجب بيان خطره، وتحذير الأمة منه، لأن أشد أعداء الأمة الإسلامية، وأخطرهم عليها هم: المنافقون. الذين يتلوَّنون حسب البيئة، يظهرون بمظهر الأخ المشفق، وهم ذئاب في جلد بني الإنسان، يحسبهم الظمآن ماء، يظنهم المؤمن عونًا له، وهم عونًا عليه، يحسبهم له ناصحون، وهم على عَنَتِهِ وهلاكه وتدميره ساعون »(١).

❁ ❁ ❁

(١) المنافقون في الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، ص (٧٦- ٧٥).

وقفة

ملخص صفات المنافقين

[إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا غنِم غلَّ، يعبد هواه، يُبغض السنَّة ويسخر منها، شحيح، جبان، يثبِّط العزائم، عليم اللسان، يقول ما لا يفعل، مجادل، مراءٍ بعمله وقوله، صخب بالنهار، خشب بالليل، يصف الإسلام ولا يعمل به، يُبغض المؤمنين ويحبُّ الكافرين، ذو وجهين، مشغوف بالبَهرج والزخرف، يهتمُّ بمظهرِه، وجوهرُه خراب، يتخلَّف كثيرًا عن صلاة الجماعة، لا يُحب المكوث في مدينة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُفتَن في قبره، وينقطع نورُه على الصراط، ينفر من دعوة الحق وسماع الموعظة، صاحب بدعة.

في قلبه مرض ، قلبه منكوس، يأتي بالإفك من القول.

يحب الرئاسة، والشهرة والظهور، دينه المصلحة، معروف بلحن القول، يفضل الدنيا على الآخرة، حيران، سكران، ليس من اليهود ولا من النصارى ولا من المجوس، يَعتبِر التمسُّك بالإسلام تشدُّدًا، والتفريط فيه وسطية واعتدالًا، هو من النفاق آمِن، وليٌّ لله تعالى في العلانية، عدوٌّ له في السرِّ، أساء الظن بربِّه فأساء العمل، كثير الكلام قليل العمل، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.

* * *

(اللهم إني أعوذ بك من خشوع النفاق)

وخشوع النفاق: أن يُرى البدنُ خاشِعًا، والقلبُ ليسَ بخاشِعٍ.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** ﴿١٤٥﴾ ﴾ (النساء).